يوحانيس فون تبل
أكرمان

حوار مع الموت



نقله من الألمانية الوسيطة وقدم له : د. كمال رضوان

اهداءات ٢٠٠٣

أسرة أ.د/رمزي ذكي

القاهرة

يوهانيس فون تبل

اكرمان
حوار مع الموت

نقله من الألمانية الوسيطة وقدم له
دكتور كمال رضوان



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٤

الاخــراج الفنى

فاتن غــالى

تقديم

للكتاب المترجم هنا عنوان أصلى هو :

Der Ackermann aus Böhmen

أى «فلاح بوهيميا» ، وان شئت فقل «فيلسوف بوهيميا»
وله عنوان فرعى هو Ein Streit-und Trostgespräch vom Tod
أى «حوار مع الموت وعزاء عنه» • تحت هذين العنوانين يتناول المؤلف مسألة الحياة والممات ، يتركهما يتحاوران ويتصارعان ، وقد امتشق كل منهما سلاحه من المنطق وعلم البيان ، من الألفاظ البراقة الرنانة ، والتعبيرات البليغة الطنانة ، ويمضى الحوار بينهما فى كلمات أمضى من حدة السيوف وأقطع • وبينما يمثل أكرمان بنى جنسه ، نجد أن دور «الموت» يحمل كل صفات الشيطان ، استنادا الى رسامى العصور الوسطى الذين عرضوا الموت دائما فى صورة الشيطان •

وقبل أن ندخل فى التفاصيل ، أو نتعرض للحوار

بالتحليل ، نـرى لزاما علينا أن نضـع أمام القارىء خلفية تاريخية لهذا النص ، ونتعرض لبعض الوقائع ــ أو المشاكل ــ المتعلقة به منذ تأليفه : فمنذ عام ١٩٥٠ ظهرت منه خمس طبعات ، وأعلن فى الدوائر الأدبية أن طبعة سـادسة فى طريقها للصـدور • ولو عـدنا بالذاكرة الى نهاية القرون الوسطى الأوربية ، لوجدنا أن النص ورد فى ست عشرة مخطوطة وسبع عشرة طبعة قديمة ــ ولو أنها تختلف فى حرفية النص اختلافا بينا فى بعض الأحيان • وهناك مخطوطة واحدة ترجع الى العقد الثانى من القرن الخامس عشر ، بينما نسخت بقية المخطوطات بعد منتصف القرن الخامس عشر ، ثم بدأت الطبعات تترى (١) •

وان دل ذلك على شىء فانما يدل على ماتمتع به النص من حب وسعة انتشار • ومما ساعد على ذلك أيضا تعدد آراء الباحثين ــ من رجال الأدب وفقهاء اللغـة ــ فى شرح النص والتعليق عليه • وكثيرا ماتجـدد النقاش حول التفاصيل المتعلقة مثلا بسيرة المؤلف ، أو بالمصادر التى نهج نهجهـا ، أو بالقـالب الفنى الذى صب فيه

(١) راجع مقدمة جير هارد هان عن « أكرمان » ٧ •

موضــوعه • بل وتطــرقت تعليقات الباحثين الى بعض المسائل الأساسية مثل :

ــ هل يعتبر نص الحوار قطعة آدبية تناول فيهــا المؤلف موضوع الحياة والموت بعد آن كساه بثوب قشيب يتمشى مع جلال الموضوع وأهميته ؟•

ــ أم آن النص لايزيد عن كونه مجرد تمرين على الأساليب البلاغية ، استقى موضوعه من تقاليد موروثة، واستعان بأفكار من هنــا وهنــاك من المخزون الأدبى المعاصر آنذاك ؟ بمعنى : هل كان المبنى (القالب الفنى) أهم من المعنى (الموضوع) ؟•

ــ هل النص من وضع عقلية مشحونة بالتيارات الأولى للمذهب الهومانى (الانســانى) وبتباشير عصر الاصلاح الدينى ؟ آى هل هو صدى يتجاوب مع النداء الصادر من ايطاليا وقتئذ ؟•

ــ أم آن كل ماورد فيــه من آراء يعتبر «تحصيل حاصل» ، حيث آن موضوع الحياة والممات ــ كما يعرف دارسو الأدب ــ قد سبقت معــالجته فى آوج العصــور الوسطى ، وعند توماس الأكوينى بالذات ؟•

ولو صرفنا النظر عن هذه التساؤلات الواردة ، فان

ثمة سؤالا يطرح نفسه على الباحثين من أدباء ولغويين : ماهو القديم في هذا النص (أى نصيب العصور الوسطى) ، وماهو الجديد (الوافد من الجنوب مع رياح التجديد) ؟ وكيف تم توزيع هذا وذاك على الشخصيتين المتحاورتين (الشاكى والموت) ؟ (١) .

هذه سلسلة من الأسئلة الحائرة ، شغلت الباحثين ردحا من الدهر . الا أنه رغم ذلك ، ورغم غموض الظروف المحيطة بالنص وخلفيته وعدم تحديد الملابسات فيه ، فان هناك نقاطا محددة فى الحوار تعتبر علامات على الطريق التى تؤدى بنا الى بعض الحلول ، مثل معرفة المؤلف ، فقد كانت هى الأخرى موضوع بحث وتساؤل . ومن هذه النقاط :

١ ــ ذكر المؤلف وظيفته فى الحديث رقم (١) حيث يقول «محراثى من ريش الطير» ــ وهو وصف تقليدى فى العصور الوسطى لرجل القلم أو الكاتب .

٢ ــ مكان الاقامة مذكور وهو مدينة زاتس باقليم بوهيميا (الواقع حاليا فى تشيكوسلوفاكيا) .

---

(١) راجع مقدمة هان ، ص ١٠ ــ ١٢ .

وذلك فى الحديث رقم (٣) ثم فى رقم (٤) •

٣ ـ توصل الباحثون بعد ضم الحرف الأول من كل فقرة فى الصلاة الختامية (٣٤) الى تجميع اسم المؤلف ، وهو يوحان الحاصل على درجة الماجستير Johannes, M. A. • وتوصلوا أيضا عن طريق بعض الوثائق المحفوظة فى كل من زاتس وبراغ الى أن اسمه وهو يوحان فون تبل مقيد فى سجلات مدينة زاتس منذ عام ١٣٧٨ ، حيث شغل وظيفة موثق حكومى ، ثم ناظر مدرسة ، ثم موثق عمومى • كما تدل الوثائق على أنه كان يتمتع باحترام الناس وتقديرهم ، واستطاع عام ١٤١١ أن يشترى منزلا فى الحى الجديد بمدينة براغ ، حيث مارس هناك أيضا وظيفة موثق • ثم أصابه المرض عام ١٤١٣ ومات فى العام اللاحق (١) •

ولما كانت بعض هذه المعلومات الواردة بالوثائق تطابق بعض ماورد بالحوار ، فان ذلك يدعونا الى أن نسلم بصحة مايحويه الحوار من بيانات شخصية أخرى ، ونعتقد أنها من سيرة حياة المؤلف • ومنها مثلا :

---

(١) راجع مقدمة هان ، ص ٩ •

موت زوجته مارجريتا (الحديث رقم ٣ ورقم ٣٤)، وذلك فى أول أغسطس عــام ١٤٠٠ فى سرير الولادة (الحديث رقم ١٤) ٠ وهــذه المعلومة بالذات لاترد فى الوقائع المذكورة فى براغ ، وليس هناك مايناقضها أو ينفيها ٠ أما اذا كانت وثائق براغ تتحــدث عن زوجة اسمها كلارا ، فربما كانت هى الزوجة الثانية ليوحان، اذ يتضح من كلامه (٢٧) أنه ينوى الزواج مرة آخرى ٠ أما الأطفــال فذكرهم وارد فى كل من الحــوار والوثائق التاريخية (١) ٠

وفى حديث «الموت» نتلمس مزيدا من الضوء بشأن هذه المعلومات فهو يقول : «حدث منــذ عهد قريب أن قبضنا روح امرأة عفيفة ٠٠ يبدأ اسمها بالحرف الثانى عشر (أى مارجريتا) » (فى رقم ٤) وذلك «بعد عيــد الصعود» (١٤) ، أى أن عام ١٤٠٠ كان فعلا قد انتهى ٠ ومن هنا نستطيع الأخذ بأن عام ١٤٠١ هو عام تأليف النص ٠

وبما أن المؤلف كان يحمل درجة الماجستير ، ومارس ـ كما سبق أن أشرنا ـ مهنة ناظر ثم موثق ، فلابد أن

---

(١) انظر المرجع السابق ص ١٠ ٠

يكون قد درس في احدى الجامعات · ولكن في أى جامعة ؟ ـ كانت أقرب الجامعات اليه في مدينة براغ، لأنها أقرب اليه من باريس وبادوفا وبولونيا ، ناهيك عن نابلى وجرينوبل وسالامنكا والجامعات الانجليزية · فلو صح وقطعنا بأنه أتم دراسته في براغ ، فان ذلك يفسر لنا مدى علاقته بالمناخ الثقافى هناك ، ومدى تأثير ذلك المناخ في تعليم يوحان وفي طريقة تفكيره بعد ذلك في الميدان الوظيفى والتأليفى ·

أما تأسيس جامعة براغ (عام ١٣٤٨) فهو يعتبر في حد ذاته شاهدا على حركة الانفتاح الثقافى ابان عهد القيصر كارل الرابع · وكان ذلك القيصر على درجة عالية من الثقافة ، وله محاولات من تأليفه في نطاق الأدب الألمانى · وقد ألحق كارل الرابع ببلاطه ديوانا أسماه «ديوان القلم» ـ رأسه عام ١٣٥٥ مستشاره يوحان فون نويماركت (قارن ديوان الانشاء في عهد المماليك) · ويعتبر ذلك الديوان أحد المراكز الهامة بالنسبة لتاريخ اللغة الألمانية · اذ عمل الديوان على تطوير اللغة الألمانية الوسيطة وبلورتها وتبسيط تركيباتها ـ أى أنه ساعد على نشأة الألمانية الحديثة ـ وأخذ يزودها بالأساليب البلاغية والقوالب العلمية

الأدبية ، مما يبرز مدى تأثره بتيارات المذهب الانسانى الذى هبت نسماته آنذاك من ايطاليا • ومما ساعد رياح المذهب الانسانى على شق طريقها الى البلاط الملكى فى براغ تلك المراسلة الدائمة بين روما وبراغ بشأن الاعداد للحج الى روما وما يتطلبه من اجراءات • وممن شارك فى تلك الاستعدادات فرانشيسكو بتراركا ـ الشاعر المعروف ـ وزميله كولادى رينزو ، فقد سافرا سويا الى براغ ، وبثا فيها من روح المذهب الانسانى • وفى هذا المناخ وضع يوحان فون نويماركت سيرة كارل الرابع ، وضمنها نماذج لأسلوب جديد للديوان يفيض بالروح الجديدة للعصر • كما ترجم كتاب الغزل من اللاتينية الى النثر الألمانى ، فى أسلوب يتميز بقوة التعبير والصور البلاغية ومتانة الحبكة الفنية ـ مما آفاد مؤلف آكرمان (كتابنا هذا) فيما بعد (١) •

ولكى تكتمل صورة الخلفية الثقافية التى نشأ فيها آكرمان ، لابد أن نضيف أن ذلك البلاط المفتوح لكل ماهو جديد من الجنوب ، كان يضم حتى عام ١٣٥٩ شاعرا آخر هو هينريش فون موجلين ، المعروف بما وضعه من حكم وأمثال بطريقة تقليدية فى شئون اللاهوت

(١) راجع مقدمة هان ، ص ١١ •

والأخـلاق والعلوم الطبيعية ، كمـا تغنى بالحب ومدح العذراء ، وكل ذلك فى لغة ازدحمت بالمحسنات البديعية والأساليب البلاغية • ووسط هذا الجو المشحون بتقاليد ألمانية تداخلت معها نبضات ايطالية ، نشأ كتابنا هذا ، آخذا من كل بستان آجمل زهوره ، ومتفاعلا مع الروح الجديدة لعصر ظهوره •

ليس من عجب اذن فى أن رجال الأدب ــ وعلى رأسهم كونراد بورداخ ، الذى يدين له تاريخ الأدب باكتشافه لهذا النص ــ آدركوا قيمة أكرمان وآهميته من الناحيتين اللغوية والأدبية • فمن الناحية اللغوية اعتبروه أول انتاج يطبق التعديلات اللغوية التى أدخلها ديوان كارل الرابع فى براغ • والديوان ــ كما ذكرنا آنفا ــ هو احدى الدعائم القوية التى قامت عليها اللغـة الألمانية الحديثة ، (تمثلت باقى الدعائم فى «لغات» آو «لهجات» أقاليم سكسونيا ، مايسن ، تورينجن التى ساعدها مارتين لوثر على الانتشار بفضل ترجمته للانجيل) • آما لغة الديوان فى براغ فقد تميزت عن زميلاتها من اللهجات بأنها بادرت بادخال تحسينات وتجـديدات فى النطق والكتابة ، فبلورت اللغة الألمانية الواردة من العصور الوسطى وسـاعدتها على سرعة الانتشـار • ومن تلك

التحسينات نجد ازدواج الأصوات الفردية ، وتبسيط الأصوات المركبة ، وتوحيد الحروف الصـوتية ، ولين نهاية الكلمات وغير ذلك • كما اعتنت على وجه الخصوص بالجانب البـلاغى فى اللغـة ، واستغلت عناصره مثل الاستعارة والكناية ، والجنـاس ، والطباق ، والمقـابلة والاشتقاق ، وتشابه الأطـراف والتذييل ، ورد العجز على الصدر والتبديل ، وغير ذلك الكثير (١) •

القالب الفنى للحوار :

يتضمن الحوار ٣٢ حـديثا ، يتبادلها الشـاكى والمشكو ــ أى المدعى والمدعى عليه • وفى الحديث رقم ٣٣ يفصل أعدل القضاة بينهما • ثم تتلو ذلك صـلاة أكرمان على روح الفقيدة •

ويرينا تقسيم الحوار بهـذه الطريقة البسيطة أن المؤلف اعتنى بالناحية الشكلية ، ليصبح الحـوار قطعة أدبية وتحفة بلاغية • فالعدد ٣٣ يرمـز الى معتقدات الكنيسة آنذاك بأن السيد المسيح عليه السلام بلغ من العمر ٣٣ عاما • ومسألة الرمز عن طريق الأعداد ليست هي الأخرى بجديدة : لقد عرفها المصريون القـدماء ،

---

(١) راجع مقدمة هان ، ص ١٣ •

وعرفتها الفلسفة اليونانية ، وأخذتها عنها العصور الوسطى الأدبية . لقد راعى دانتى فى ملحمته الضخمة «الكوميديا الالهية» طريقة الرمز العددى ، حيث نظمها على النحو التالى : ١+٣٣+٣٣+٣٣=١٠٠ (أى مقدمة وثلاثة أجزاء أو فصول يتكون كل منها من ثلاث وثلاثين أغنية أو مشهد) .. يضاف الى ذلك أن طريقة الرمز بالأعداد متوفرة داخل الحوار نفسه : فلايكتفى المتحدث ـ سواء أكرمان أو الموت ـ برسم الصورة مرة واحدة ، بل يأتى لها بمترادفات مثنى وثلاث ورباع ، وقد يصل الاسهاب أحيانا الى سبعة مترادفات . وهى أعداد لها قيمتها الرمزية فى التصوف فى العصور الوسطى .

ولو تناولنا كل حديث على حدة لوجدنا أنه ينقسم بدوره الى أجزاء ثلاثة :

(أ) المقدمة ، وهى اما هجومية مثل الحديث (رقم ١) أو مهدئة (٢٧) أو جملة محفوظة (٢٨) أو حكمة سائرة (١٣) أو أقصوصة (٦) وهكذا .

(ب) الجزء الأوسط ، وهو صلب الحوار .

(جـ) الختام ، وهو يستخلص نتائج الجدل والمناقشة ،

وينتهى مثلا اما على شكل لعنات (٣) أو انذار (٨) أو تحذير (٦) ... الخ .

وأخيرا وليس آخرا بذل المؤلف يوحانيس فون تبل قصارى جهده فى وضع الحوار فى صيغة نثرية ، وهى صيغة خطابية بلاغية الى أقصى الحدود ، استنفد فيها كل طاقته من المحسنات البديعية والقــوة التعبيرية . وقد حاولت مافى وسعى ـ ولايكلف الله نفسا الا وسعها ـ أن أجارى النص الأصلى فى أوزانه وقوافيه ، بل وفى أنغامه وايقاعاته ، متقيدا بروحه ومحافظا على معناه . وكانت لذلك نتيجة حتمية ، هى ورود تشــبيهات فى الترجمة قد لاتكون مطروقة لدينا ، لكنهــا واردة فى النص الأصلى ، وقد تتضح للقارىء من سياق الحديث ، حيث ان مؤلف أكرمان اعتمد كثيرا على التكرار ، وكأن النص قطعة موسيقية ، تتكرر أنغامها لتشق طريقها الى قلب السامع ، ولاتكتفى بالوصول الى أذنيه .

موجز الحوار :

تتلخص القضية كلها ـ كأى قضية ـ فى اتهام ، ثم مرافعة أو دفاع ، ثم النطق بالحكم . لكن كيف عالج المؤلف ـ يوحان فون تبل ـ هذا الموضوع ؟ للاجابة على

هذا السؤال ، لابد أن نستعرض الحوار ونقسمه إلى المجموعات الآتية :

ا ـ الأحاديث من (١ ـ ٥) :

وتشتمل على عرض القضية • فهى تقدم للقارىء كلا من المدعي والمدعى عليه وسبب الدعوى • أما المدعى فهو آكرمان من مقاطعة بوهيميا ، والمدعى عليه هو عزرائيل أو بمعنى أصح هو «الموت» ، وسبب الدعوى هو وفاة مارجريتا زوجة آكرمان • يبدأ آكرمان بتوجيه دعواه ضد الموت ، في أسلوب تعبر حدة ألفاظه عن حزنه العميق وغيظه المكظوم • ثم يستغيث المدعى بالله وبكل المخلوقات لتقف في جانبه وتقتص له من «قاتل» زوجته وقابض روحها • وهذه ناحية قانونية هامة : اذ يكسب المدعي الجميع في صفه ، ليبدو المدعى عليه آثما ، تبرأت منه الناس ، وقد لبسه الاتهام ، فلا يملك لنفسه دفاعا • ورغم أن المدعى عليه ــ وهو الموت ــ لايأبه بأى دعوى ، فقد لاحظ من حديث آكرمان فداحة الشكوى ووجاهتها قانونيا • ففى حديثه (٢) يقول انه مما يثبت جدية الشكوى أنها تأتى في صيغة النثر ، بينما جاءت قضايا العصور الوسطى ضد الشيطان في قالب شعرى منظوم •

لذلك أخذ الموت يتساءل عن الشاكى وعن شخصيته وسبب شكواه . ويؤكد الموت للشاكى آنه اذا قبل الحوار والجدال معه ، فانما يعتبر ذلك تنازلا من جانبه ، اذ ليس هناك من يجبره على الوقوف موقف المتهم أو المدعى عليه . وليبين الفارق بينه وبين الطاعن فيه نجده دائما يتحدث بنون الجماعة (نحن) ، ولا يخلو حديثه من التهكم والاستعلاء والسخرية والاستهزاء ، فهو يسمى نفسه «السيد» بينما يخاطب آكرمان كأنه «عبد» . وبذلك تنتهى الأحاديث الخمسة الأولى ليأخذ الحوار مجراه .

٢ ـ مرافعة الجاني ودفاعه وتبريره لفعلته (٦ ـ ١٢) :

ينبرى الموت فى الحديث رقم (٦) ليدافع عن موقفه، فيأخذ بزمام الحوار ، محاولا اقناع آكرمان بأمور ثلاثة :

(أ) ان الموت سنة الحياة وقانونها الطبيعى منذ بدء الخليقة .

(ب) ليس لأى مخلوق على «الموت» حساب .

(جـ) الموت عادل فى تصرفاته ، لايفرق بين غنى وفقير أو كبير وصغير .

ومن ثم يرمى الموت شاكيه بالحماقة ، وببطلان دعواه - لكن آكرمان لايريد أن يستسلم بعد ، فمازال مشحونا بالعواطف الجياشة ضد الموت • الا آن الموت يستدرجه ويلفت نظره الى أمرين آخرين :

(أ) امكانية البحث مرة أخرى عن السعادة •

(ب) ضرورة نسيان فرح ينتهى بالألم ، فى عالم محكوم عليه بالزوال والعدم •

٣ ـ المطالبة بالعدالة (١٣ ـ ١٨) :

نجح الموت فى استدراج آكرمان ، حتى خفف من حدة غضبه ، فنسى الدعوى بالقتل ، وانتقل الى الشكوى من آلامه • بل وصل به الأمر الى أن اعترف بضرورة وجود الموت فى الحياة • وأخذ يناقش الموت مناقشة المستنير ، ويفند آراءه ، ويقرع الحجة بالحجة ، بطريقة جدلية (دياليكتية) بحتة • فبدأ فى استجواب الموت عن سبب اختطافه لزوجته قبل الأوان : فاذا كان لأحد مثل ذلك السلطان فى قبض أرواح بنى الانسان ، فليس هناك الا الله والموت • ولكن الله الذى هداه الى نعمة الزواج ، لايمكن أن ينتزع منه زوجته ويشقيه • اذن فالموت وحده هو المذنب الجانى • ومن ثم يواصل آكرمان

استجواب الموت عن مكانه ومكانته وعن سبب اختياره لمارجريتا دون غيرها ، وعن سلطاته وكيف يمارسها ، ويرميه بالظلم ، اذ يختار الصالحين قبل الطالحين .

٤ ـ دفاع عن الحياة (١٩ ـ ٢٣) :

مازال آكرمان يتنازل عن مطالبه ، وهو هنا يطالب بمجرد التعويض عن خسارته ، ويطلب النصيحة من «خصمه» الموت ليدله على كيفية التخلص من آلامه ومسح أحزانه . الا أن الموت يوضح له آن الحياة الدنيا لامعنى لها (ولا تساوى عند الله جناح بعوضة) . ويسخر من آكرمان ومن بنى الانسان . وهنا ينبرى آكرمان ليدافع عن الحياة .

٥ ـ حدود الموت (٢٤ ـ ٣٢) :

تغيرت نغمة الحوار وانقلبت معاييره ، فبعد أن كان آكرمان يستنكر وجود الموت فى الحياة الدنيا ويستبعد ضرورته أصبحت الحياة نفسها موضع استفهام بعد أن أثبت الموت ضرورة وجوده . هاجم آكرمان الموت فى البداية ، وهنا يهاجم الموت الحياة والأحياء . دافع الموت سابقا عن ضرورة وجوده ومعناها ، وهاهو آكرمان يدافع

عن الحياة وحبها ، يدافع عن الانسان باعتباره أفضل خلق الله ٠

لم يبق أمام أكرمان فى سلسلة تنازلاته (القتل ـ القصاص أو الجزاء ـ التعويض) الا أن يصرف النظر عن طلبه راجيـا أن يسـدى اليـه الموت بالنصيحة ٠ ولا يشغله الآن سوى مسألة اختيار طريقه فى الحياة : هـل يصبح من الرهبـان ؟ أم من العلمان ؟ ـ اهتدى أخيرا الى أن خير الحلول هو الزواج مرة ثانية (٢٧) ، وأخذ يدافع عن الحياة الزوجية فى ظل زوجة صالحة ٠ بينما عكف الموت على مهاجمة الحيـاة الزوجية ، مدعيا أنها مليئة بالرذائل وبعيدة عن الفضـائل ٠ أحـدهما يدافع عن الذهب (الزوجة الصالحة) والآخر يدافع عن الرصاص (الزوجة الجامحة) ٠

وينهى أكرمان حديثه (٣١) مفندا آراء الموت فى نقاط ثلاث :

(أ) اذا كان الموت يدعى أن الحيـاة الدنيـا كلها الى زوال ، فلا مكان له بعد هذا الزوال الا النار ٠ واذا لم يكن ذلك كذلك ، وكان بقاؤه فى الدنيا ضروريا ، فمعنى ذلك استمرار الحياة ٠

(ب) لايمكن أن يكون خلق الله فاسدا أو سيئا ، فهو
سبحانه أحسن خلق الانسان «ولقد كرمنا بنيآدم
وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» ٠

(جـ) لم تخلق الحياة لمجرد أن ينهيها الموت ، بل لها معناها
ووجوه جمالها ٠

يخرج أكرمان من الحوار صفر اليدين ، فيعود الى
دعواه من جديد ويحتكم الى الله ٠

٦ ـ حكم الله (٣٣) :

لم يسفر الحوار الطويل بين أكرمان والموت عن
نتيجة أو مصالحة بينهما ، بل انتهى كما بدأ : كل منهما
يعتقد أنه على حق ٠ والأمر الآن مرفوع الى أعلى سلطة
قضائية وأعدلها لتفصل بين المتناظرين ٠ ورغم أن
المحاكمة تخلو من حرفية الألفاظ القانونية ، الا أنها
تسير وفقا للبروتوكول القضائى بالمحكمة : مراجعة
الدعوى ، اصدار الحكم ، اعلان الحيثيات ٠ أما الحكم
فهو رفض الدعوى ، لأن المدعى يشكو من فقد شيء
لايملكه ٠ وليس معنى رفض الدعوى هو تبرئة المدعى
عليه ، فقد أخطأ هو الآخر ، حيث افتخر وتباهى بسلطة

ليس هو مصدرها • اذن فكلاهما جانبه الصواب ، الا أن الحوار له مبرراته • فالمصـيبة التى وقعت للشاكى تملؤه بالحزن ، والحزن يدفعه للشكوى التى أصر عليها حتى النهاية • بينما شعر الموت بعنف الهجوم ، فأعد أمضى أسلحته للدفاع عن نفسه •

حقا ان وراء حديث كل منهما دافعا قويا ، الا أن طريقة عرض القضية خاطئة فكلاهما برىء ومذنب ، محق وظالم فى نفس الوقت •

ولذلك صدر الحكم للمدعى بالشرف ـ ليس لمجرد حسن دفاعه ، بل لأن الموت طعن الانسـان فى شرفه ، والسـماء ترد للانسـان اعتبـاره وتعترف له بآدميته وانسانيته • ثم حكم للموت بالفوز فى القضية ، ولايعنى ذلك أن الله استحسن كل دفاعه ، بل حـكم له بشرعية بقائه فى الدنيا ، لأن الشاكى كان ينفى ضرورة وجود الموت • ولم يتـأثر ميزان العـدالة بدعـوى المدعى ولا بدفاع المدعى عليه ، بل حكم لكل منهما بما أنكره عليه الخصم • أما صلب القضية ـ قضية الصراع بين الحياة والموت ـ فمازال قائما • وكل مايدل عليه الحكم هو تقييم لكل طرف من الطرفين المتنازعين حتى يعرف حدوده ويلزمها و «تلك حـدود الله فلا تعتـدوها» •

فالحياة قدر ، والموت قدر ، وكلاهما منحة ممن بيده مقاليد الأمور ، ومردهما اليه فى النهاية ٠

٧ ـ الصلاة على روح الفقيدة (٣٤) :

اختفى الموت بعد صدور الحكم ، اذ لايصح له الحديث بعد الحكم ٠ بينما يسمح آكرمان لنفسه ـ باعتباره انسانا ، والانسان أفضل المخلوقات ـ بتوجيه الشكر للخالق ومناجاته ، داعيا الله أن يسكن الفقيدة فسيح جناته ٠ ولايتعرض آكرمان فى صلاته ومناجاته لخصمه (الموت) ولايذكره ، بمعنى أنه لايتعرض لنظام الكون أو يعترض عليه ٠ وكأن الحوار كله كان حلما وانتهى ، أو نزعة من النفس الأمارة بالسوء وسرعان ما اهتدت ٠

واذا عدنا بالذاكرة الى الحديث رقم (١) نجد أن أكرمان هناك قد ملأ الدنيا صياحا وعويلا وسبابا ، بينما يختم صلاته هنا بالحمد والثناء على رب الأرض والسماء ، وكأنه يمتثل لقول العلى القدير : «ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية ، فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى» ٠

١ ـ أكرمان (الشاكي)

أيها القاتل الفـاجر ، حاصـد الأرواح ، هادم اللذات ، مفرق الجماعات ، مشتت الكائنات ، مغتـال المخلوقات ـ أنت أيها الموت ، عليك اللعنة .. فليمقتك الله ـ خـالقي وخالقك ـ ولتنزل عليك النقمـة ، وتصيبك التعاسة والغمة ، وفضح أمرك الى الأبد .. فليلازمك الخوف والعـوز والبـؤس والنحيب حيثمـا سرت ، وليرافقك الألم والغـم والهـم أينمـا حللت ، وليطـاردك فى كل مكان العـداء الجـارح والاحتقار الفاضح والكره الصارخ . فلتبغضك بل وتصب عليك اللعنات الى أبد الآبـدين كل من السـماء والأرض ، والشمس والقمر والنجـوم ، والبحـار والمحيطات ، والجبال والحقـول ، والوديان والمروج والسهول ، بل وهـاوية الجحيم ، وكل ماهـو كائن يتمتع بالحيـاة . فلتغرق فى الخبث والشرور ، وليقض عليك البـؤس المؤلم ، ولتبق دائما منبوذا طريدا ، دون غفران لك من الله أو عفـو من النـاس والمخلوقات أجمعين .. ـ

أيها الشرير الحقـير ، دامت عليك أفكارك السـيئة ،
ولازمك الخوف والفزع حيثما توجهت وأينما حللت ..
أشكوك أنا وكل الأنام صائحين مولولين ، رافعين أيدينا
متضرعين .

٢ ـ الموت (المشكو منه)

اسمعوا ، اسمعوا ، فلتسمعوا العجب العجاب ٠٠ شكاوى ثائرة ضدنا وأصوات ظالمة تطعن فينا ، ولسنا ندرى شرفا من هو الشاكى ، حقـا لم ينل منا للآن أى تهديد أو وعيـد ، لعنـات أو صيحات واستغاثات ، ومختلف أنواع التهجمات ومع ذلك : فمن أنت يابنى؟ قدم نفسك ، وأعلن عما ارتكبناه فى حقك أو فجعناك فيه ، وما من أجله تعاملنا معاملة لاتليق بنا ولم نألفها من أحد للآن ، مع أننا حصدنا فعلا أرواح الكثيرين ، من متعلمين ونبـلاء ، ووجهـاء وأقوياء ، مما سبب الكوارث الجمة للأرامل واليتامى وللناس وممتلكاتهم ٠

يبدو أنك جـاد فى شـكواك ، وكأن ضيقا يكتم أنفاسك ، أو مصيبة قد خلت بك ٠ شكواك تخلو من القافية والمحسنات (١) ، مما يدعونا للأخذ بأنك مهتم

(١) وهذا هو الجديد فى الأسلوب النثرى ، على خلاف ما جاء فى نصوص العصور الوسطى من شعر منظوم ٠

بالمعنى أكثر من المبنى ، وتركز على مضمون الشكوى ، دون أن تأبه بالقوافى ورنين الألفاظ ٠

فاذا كنت فاقدا لوعيك ، أو على بصرك غشاوة ، أو أصابك مس أفقدك الصواب ، فعلى رسلك ولاتتسرع وتقسو فى السباب ، وذلك حتى لاتعض على أصابعك ندما بعد فوات الأوان ٠٠ لاتظن أنك قد تستطيع بأى حال أن تنال من جبروتنا الرائع أو تضعف من سلطاننا الواسع ٠٠ ـ ومع ذلك فأعلن عن نفسك ، ولاتكتم أمر ما أصابك منا من ظلم صارخ ، وسوف نسوق أمامك مبرراتنا ، فالتبرير هو أسلوبنا ٠ اننا لاندرى حقا سبب دعواك الجريئة ضدنا ٠

٣ ـ أكـرمان

اسمى أكرمان ، (١) ، محراثى من لباس (ريش) الطين ، أقيم فى اقليم بوهيميا ، وسوف أظل الى الأبد أكـرهك وأمقتك وأحتج عليـك ، حيث انك انتزعت منى الحرف الثانى عشر من حروف الأبجدية (٢) ، وكان ملاذ سعادتى • لقد اقتطفت من بستان نعيمى الوردة المضيئة الفياحة ، واقتلعتها من أعمـاق فؤادى ، لقد سلبتنى بدهائك سـند سـعادتى ، وحمامتى الوديعة المختارة • لقد ارتكبت فى حقى جريمة سلب لاتعوض• وعليك أن تزن الأمر بنفسك ، لترى هل أنا على حق فى أن أغضب منك وأثـور عليك وأتقـدم بشـكواى ضدك : فجعتنى وسلبت منى حياتى السعيدة ، حرمت على يديك من جميل الأيام ، وضاع منى مصدر السعادة والالهـام • كنت قبـل ذلك فرحا مسرورا ، تمر بى

(١) كلمة أكرمان معناها أصلا « فلاح » ، لكن المؤلف يستعيرها هنا للشاعر ، مقارنا ريشة الشاعر بمحراث الفلاح •

(٢) أول حرف فى اسم زوجته مارجريتا هو الميم ، وتمثل الحرف الثانى عشر فى الأبجدية اللاتينية •

الليالى والأيام قصيرة ممتعة مليئة بالسعادة والوئام ، وتتوالى على الأعوام وكلها خير وبركة وسلام **أما الآن فأسمع صوتا ينادينى قائلا :** فلتمت كمدا ٠٠ داوم على أفكارك الحزينة ، وابق على عودك السقيم ، كئيبا ذابلا تنتحب بلا هوادة أو توقف ٠٠ ـ وهكذا تذرونى الرياح ، وأعوم وسط فيضان البحر العارم ، تتقاذفنى الأمواج الهائجة ، فلا أجد لمرساتى برا ٠٠ لكل هـذا أود أن أصرخ بكل قواى وأصيح قائلا : أيها الموت ، عليك اللعنة !٠

٤ ـ الموت

اننا ندهش لمثل هذا التهجم الغاشم الذى لم يسبق أن تعرضنا له قط . وبما أنك فلاح من بوهيميا ، فانه يبدو لنا أنك تتجنى علينا تجنيا صارخا ، ذلك لأننا لم نمارس مهامنا هناك منذ وقت طويل ، باستثناء ماحدث منذ قريب فى مدينة جميلة حصينة ، تقع فوق جبل ، ويتكون اسمها من الحروف رقم ١٨ ــ ١ ــ ٣ ــ و ٢٣ من حروف الأبجدية (١) . وهناك شملنا برحمتنا امرأة شريفة عفيفة (أى قبضنا روحها) . وكان اسمها يبدأ فعلا بالحرف الثانى عشر (وهو الميم) . لقد كانت حقا نشيطة طاهرة ، خالية من كل عيب أو دنس : فقد رأيناها يوم ولادتها ، حيث وهبتها الهة الشرف معطفا وتاج شرف . وقد حافظت طوال حياتها على المعطف والتاج ، الى أن وافتها المنية ، فأخذت تلك الهدية معها الى القبر كاملة غير منقوصة (٢) . شاهدنا وشاهدها على

(١) وهى الحروف التى يتكون منها اسم مدينة Sacz التى كان يعمل فيها المؤلف .

(٢) أى أنها حافظت على طهرها وعفافها حتى الموت .

ذلك هو العليم الخبير · لقد كانت نقية السريرة ، حية الضمير ، ماهرة حاذقة ، مخلصة صادقة ، كريمة بارة بكل الناس · ندر فعلا أن وقعت أيدينا على واحدة فى مثل وداعتها واستقامتها · وربما كانت هى تلك التى تعنيها ، فنحن لانعرف سواها ·

٥ ـ أكرمان

أجل ياسيد ، انها هي حبيبتي وأنا معبودها وحاميها . لقد انتزعتها مني وهي جفون عيني الفياضة بالسعادة ، ماتت وهي درع الأمان لي من كل مكروه ، ضاعت مني عصاي السحرية التي كانت تحقق لي كل أمنية ، ذهبت وولت ، وها أنذا أقف وحيدا (١) . اختفى نجمي الساطع من كبد السماء ، غابت شمس سلامتي ولن تشرق ثانية أبدا ، لن يسطع لي نجم الصباح المتألق ، لقد أفل وغاب ضياؤه ، ولم أعد أملك مايفرج كربتي ، وأظلمت الدنيا أمام عيني وصارت ليلا حالكا . انني لا أعتقد أن ثمة شيئا من بعدها يمكن أن يدخل البهجة والسرور على نفسي ، ذلك لأن الراية المرفرفة على نعيمي وسعادتي قد نكست ، ويؤلمني تنكيسها . انني أصيح من أعماق الفؤاد : ياللعنة ، ياللظلم .. واحسرتاه على العام الكئيب واليوم المشئوم والساعة الأليمة التي انكسرت فيها جوهرتي الصلبة

(١) قارن افتتاحية مسرحية فاوست للشاعر جوته .

الأصيلة ،تلك الساعة التي انتزع فيها متكأى (عكازى) من يدى بعد أن كان يهديني فى سيرى ، تلك الساعة التي سدت فيها أمامى الطريق المؤدية الى البئر الصغير حيث أنهل مايجدد سلامى وأمنى • فلتنزل بك الحسرة بلا انتهاء ، والألم والبلاء ، والسقوط والشقاء ، ولتحرم من رحمة السماء •• فلتمت مدنسا بالرذائل، غارقا فى العار ، قارضا أسنانك غيظا وكمدا ، مفقودا فى قاذورات الجحيم ، ليسلبك الله قواك ويسحقها الى رماد ! ولتعش الى الأبد فى ظل الشيطان !

٦ ـ الموت

لطم ثعلب أسدا نائما على خـده ، فمزق الأسـد جلده • قـرص أرنب ذئبـا ، ففقد الأرنب ذيله حتى اليوم • خربشت قطة كلبا أراد أن ينام ، فأصبح عليها أن تتحمل عداء الكلب لها الى الأبد •

هكذا شأنك معنا ، وتلك عقبى احتكاكك بنا • الا أننا نؤمن بأن العبد يبقى عبدا ، كما يبقى السـيد سيدا (١) • نريد أن نسـوق الأدلة والبراهين ، على أننا نزن الأمور بأدق الموازين ، لنكون في حكمنا عادلين، وأن طريقتنا هي المثلى في الحياة الدنيا : فنحن لانعفي أحدا لحسبه ونسـبه ، ولانأبه بالمعـرفة مهما عظمت ولايعنينا الجمـال أو المـال ، أو الحب أو الأسى ، أو الشيخوخة أو الشباب ،أو غير ذلك من الأمور والأسباب• اننا نفعل كما تفعل الشمس ، فهي تشرق فوق الطيب

(١) ينظر الموت الى آكرمان نظرة السيد الى العبد ، كما يتحدث دائما بنون الجماعة •

والردیء والصالح والطالح ، ونحن بدورنا نضم تحت لوائنا كلا من المؤدب والبــذیء والمحسن والمسیيء ٠ حتى المتخصصين فى تسخير الأرواح لابد وأن تستجيب روحهم لنا ويستسلمون ٠ والسحرة والمشعوذون لايعفيهم فنهم من أن نطبق عليهم القانون ، ولا حيلة لهم أمامنا حتى ولو ركبــوا العصى أو امتطــوا التيــوس (١) ٠ والأطباء الذين يطيلون أعمار الناس لابد وأنهم تحت طائلتنا واقعــون ، فلن تنفعهم العقاقير والمراهم وكل مساحيق الصــيدليات ٠ ولو صح أن يحاسبنا الفراش والبعوض على مانفعــل فى بنى جنســه ، فلن يكفيه الحساب ٠ فهــل ينبغى علينا أن نترك الناس يعيشون حسب مانكنه لهم من محبة أو عداء ، وسعادة أو شقاء؟ لو كان ذلك كذلك ، لصارت الدنيا بأسرها مملكة لنا ، ولتنــازل جميع الملوك عن تيجــانهم لنــا ، ولسلمونا صــولجاناتهم ، ولصــار كرسى البابوية ومعــه طاقية الأسقفية ذات التيجان الثلاثة تحت أمرتنا وسلطاننا ٠

ـ دعك اذن من السباب واللعنات ، ولاتختلق الأكاذيب والخرافات ، لاتنكش على خــراب عشك ، ولاتهــدم مافوقك فيتطاير رماده الى عينيك ٠

---

(١) أمثلة من مظاهر السحر والشعوذة فى القرون الوسطى ٠

٧ ـ أكرمان

لو كنت أستطيع السب وأجيد اللعن ويمكنني هجاءك والامتهان بك ، ولو تمنيت أن يصيبك ماهو أكثر من الأذى ــ لكان ذلك هو أقل جزاء تستحقه لأن الألم البالغ يولد الشكوى المريرة • ــ كيف أكون بشرا ولا أبكي على فقدان هبة من هبات الله لايستطيع أحد أن يمنحها سواه ؟ نعم ، لابد أن تغمرني سكرات الحزن دائما : فقد طار مني عصفوري الشريف ، فقدت زوجتي ذات المحامد والفضائل • لي الحق كل الحق في شكواي ، لأنها كانت كريمة المنبت ، أصيلة المحتد ، شريفة عفيفة ، قوية عفية ، تفوق كل بنات جنسها في البنية ، عفة اللسان صادقة البيان ، لم يمسسها انس ولا جان ، طيبة المعشر ، حسنة المظهر ••• ويستحسن أن أكف عن الكلام ، خاصة وأنني أضعف من أن أستطيع حصر فضائلها وذكر محاسنها التي وهبها الله اياها ، وأنت أيها الموت أدرى بها جميعا وأعلم • ــ انني أشكوك بسبب فجيعتي ، ولو كان فيك حقا ذرة

من صلاح ، لتمزق قلبك اشفاقا عليها . لقد سقطت من نظرى ولن أذكرك بخير أبدا . سوف أحتج عليك الى الأبد بكل ماأوتيته من قوة ومواهب ، وعلى جميع المخـلوقات آن تؤيدنى وتشـد من آزرى فى احتجاجى عليك . فليناصبك الكل العداء ، وليكرهك أهل الأرض والسماء بل وجهنم الحمراء !

٨ ــ المــوت

لقد كتب الله الجنــة للأطهــار ، وجهنم للأشرار وأورثنا نحن (الموت) الأرض والديار • وخص الجنة بالسلام والثواب لما فيها من فضائل ، كما اختص النار بالشقاء والعقاب لما فيها من رذائل • أما السماء الدنيا بكل مافيها من بحار ، فقد كلفنا بها القوى القهار ، وأمرنا بأن نقتلع منها الزائد ونجتث الفائض •

تخيل ــ أيها الأحمق ــ تريث وأمعن الفكر وحكم العقل ، فلعلك تفهم مايلى : لو أننا منذ عصور البشرية الأولى تركنا الأعــداد تتزايد من بنى الانســان ومن الحيوان ومن الديدان فى الصحارى وفى الغابات الكثيفة، ثم تركنا الماء بما فيه من الأسماك ، ذات الحراشف منها والثعابين ، ولم نستأصل منها الزائد والفــائض ، لما استطاع أحد اليوم أن يقاوم البعوض ، وماجرؤ أحد على الخروج خــوفا من الذئاب ، كما أن الانســان قد يفترس أخاه الانسان ، ويفترس الحيوان بنى جنسه ،

ويقضى كل كائن حى على غيره ، ذلك لأن الغذاء سوف ينقصهم وتضيق عليهم وبهم الأرض بما رحبت ٠

أحمق هو كل من يبكى على الأمـوات ٠٠ دعك من هذا وخفف عن نفسك ٠ دع الأحياء يعيشون ، والموتى فى قبورهم ، فتلك سنة الحيـاة للآن ، يحسن بك أيها المأفون أن تفكر فيما هو بالشكوى جدير ٠

٩ ـ أكرمان

لقد فقدت أغلى الكنوز الى الأبد ـ أفلا يصح أن أحزن وأغتم ، خصوصا وأننى سأقضى بقية عمرى محروما من كل المباهج ؟ أسأل الله اللطيف القدير أن ينتقم لقلبى الكسير منك أيها المحزن الحقير .. لقد سلبتنى من كل الملذات والنعم ، وسرقت منى أحلى الأيام ، وحرمتنى كبير الشرف والمقام . كنت أزهو عندما كانت الطيبة العفيفة الطاهرة تلعب كالملاك مع أطفالنا المولودين فى عشنا الطاهر . ماتت الدجاجة التى دأبت على تربية هؤلاء الكتاكيت .. ياالهى ، ياقوى ، كم كنت منشرحا مسرورا كلما رأيتها تخطو فى حياء واحتشام ، لدرجة جعلت الناس يتابعونها بأنظارهم فى حب واعجاب ويقولون : «لتلك الرقيقة الشكر والثناء والشرف ، بارك الله فيها وفى فلذات كبدها ، وأنعم عليها وعلى طيورها بالخير والبركة» .
ـ لو كنت أعرف كيف أقدم لله خالص الشكر على ذلك لما ترددت أبدا . هل هناك من رجل فقير من الله عليه

بمثل ماوهبنى ؟ ـ وقد تختلف الآراء والمفاهيم ، لكنى أعتقد أن من يهبه الله زوجة طاهرة فاضلة جميلة ، فقد أنعم عليه بنعمة تعلو على كل نعم الدنيا • ياالهى ياقوى ياقهار •• ماأسعد من وهبته زوجة طاهرة لم يمسسها بشر •• فلتفرح يامن شرفك الله بزوجة طاهرة • ومتعكما الله سويا بالسعادة •• ماذا يعلم أى أحمق غن ذلك ، طالما وأنه لم ينهل من ماء البئر الطاهر ؟ ـ ورغم ما أصابنى من ظلم وفجيعة ، فاننى أشكر الله من الأعماق على آن جعل الكاملة الطاهرة من نصيبى :

فليمقتك الله الى الأبد ، أيها الموت الخبيث ، ياعدو البشرية !

١٠ ـ الموت

يبدو من حديثك أنك لم تشرب من ينبوع الحكمة، ولم تمعن الفكر فى أمور الطبيعة وآثارها ، ولم تتبصر أمور الدنيا وتدرك التغيير الدائر بها . انك جرو ساذج وأهوج .. أفلا تلاحظ كيف أن الورود الجميلة (١) ، والزنابق الشذية الفياحة بالحديقة ، وأعشاب العقاقير الفعالة ، والزهور التى تشرح الصدر فى البساتين ، وكيف أن الأحجار الراسخة والأشجار الباسقة فى الغابات ، وكيف أن الدببة القوية والأسود الجبارة فى البرارى الموحشة ، وكيف أن الأبطال المغاوير ، وذوى المهارات والموهوبين ، والأحبار العالمين ، وذوى الكفاءات الحرفية المختلفة ، وكيف أن مخلوقات الدنيا جميعا ـ مهما كانوا أذكياء ، ظرفاء ، أقوياء ، ومهما عاشوا وعمروا ،ومهما طالت ممارستهم لأعمالهم ـ فانهم مقضى عليهم بالفناء ومصيرهم الى

---

(١) يستعرض الكاتب فيما يلى ما لديه من معلومات فى قوة التعبير وصدق التصوير .

الزوال ؟ ـ فاذا كانت جميع أجناس البشر ، السابقون منهم واللاحقون ، يسيرون الى زوال ، وينتقلون من الحياة الى العدم ، فكيف يصح لمنشودتك التى تبكيها أن تتمتع ، وألا يصيبها مايصيب الآخرين ، أو كيف يمكن ألا يحدث للآخرين ماحدث لها ؟ ـ أنت بنفسك لن تفلت منا ، مهما قل توقعك الآن لهذا الأمر • لابد وأن يقول كل منكم اننا جميعا على هذا الباب واردون ، شكواك اذن لامعنى لها ولا طائل وراءها ، فهى لن تساعدك فى شىء ، لأنها تصدر عن بلادة ذهن (وقلة احساس) •

١١ ـ أكرمان

أعهد بأمرى الى قاهرى وقاهرك ، الى القوى فوق عباده ، فهو سوف يحمينى وينتقم لى منك آشد الانتقام لقاء ما ارتكبت فى حقى • ان ماتتحدث به الآن أمامى، لهو ضرب من ضروب المغالطة والشعوذة ، اذ تخلط فيه دائما بين الزيف والحقيقة ، وتريد أن تقضى على الألم البالغ المعتمل فى نفسى وعقلى ووجدانى ، تريد أن تصرف عنه عينى وحواسى وأعماق نفسى • عبثا تحاول ، فلن يكون لك ماتريد ، ذلك لأن خسارتى الفادحة ـ والتى لن أستطيع أبدا تعويضها ـ تؤلمنى وتحز فى نفسى ، فقد كانت (الفقيدة) دائما بلسمى الشافى من كل ألم وضيق ، كانت العبدة المطيعة لربها، المستجيبة لزوجها ، الحارسة على بدنى ، الساهرة ليلا ونهارا على شرفى وشرفها • كانت تنفذ كل ماتؤمن به ، وتؤديه على خير الوجوه ، كاملا غير منقوص بل وتزيد عليه غالبا • لقد أقام فى منزلها كل من الاعتدال والحرص والعناية والتعقل والحكمة دائما • كما رفعت

الحشمة مرآة الشرف دائما أمام عينيها • كان الله خير حماتها ، كما كان كريمـا رحيمـا معى من أجـل خاطرها • حباها الله بكل ماتستحق ، ونالت منه كل ماتبتغى : الحياء والعفاف وهما شرف البيت الطاهر• اللهم فاجزها خير الجزاء ، ياخـير من يجـزل العطاء ، يامثيب الأوفيـاء ، وياآغنى الأغنياء •• كن رحيما بها بأكثر مما أتمنى لها !

آه ، آه ثم آه ، أيها الموت ، أيهـا السـفاح الذى لايعرف الحياء ، فيك تستتر الرذيلة فى أخبث رداء •• فليحكم عليك الشديد العقاب ، ويكتب عليك العذاب ، وكلما ترجوه غفرانا يزيدك من العذاب آلوانا !

١٢ ـ المـوت

لو كنت تستطيع أن تحسن القياس والتقدير ، أو الحساب والتفكير ، لما تفتق رأسك الأجـوف عن مثل هذا الحديث المعجرف • انك تصب اللعنات وتطـالب بالانتقام دون فهم أو مدعاة • فماذا يعـود عليك من هذه الحماقة ؟ سبق أن قلنا بعاليه : ان كل كائن مهما كان غنيا بالأفكار والحيل نبيـلا ، فاضــلا ، جـريئا ، نشيطا ، وكل ماهو حى لابد وأن ينتهى على يدنا (١)• ومـع ذلك فأنت تنبح وتولول قائلا بأن كل سـعادتك كانت مجسمة فى زوجتك الطاهرة الماهرة ، فاذا كان من رأيك أن السعادة لاتتوفر الا فى النساء ، فاننا نريد أن نخلص اليك النصيحة بأن تداوم على السعادة ، ولكن حذار أن تنقلب السعادة الى تعاسة •

أخبرنا : هل وجدت زوجتك ماهرة شاطرة عند زواجك منها ، أم أنك علمتها المهارة والنشاط ؟ اذا

(١) « كل نفس ذائقة الموت » •

كنت وجدتها كذلك ، فعليك البحث (عن غيرها) بشيء من التعقل والروية ·· انك تجد فى الدنيا كثيرا غيرها من النساء الطاهرات ، ممن ترضى بك احداهن زوجا ·· أما اذا كنت قد علمتها الهمة والنشاط ، فأبشر ·· فمازلت أنت المعلم على ظهر الحياة وتستطيع أن تتخذ زوجة تربيها وتعلمها ·

ولكن دعنى أقول لك شيئا آخر : كلما زاد حبك ، زاد بعـد ذلك ألمك · فلو كنت تحفظت فى الحب ، لما كنت تشعر الآن بفـداحة الكرب · فكلما زادت فرحة المرء بحبه ، كلما زاد أساه عنـد الحـرمان من الحب · فالنساء والبنون ، والكنوز وكل عقـار دنيوى ــ هى جميعا تجلب بعض السرور فى البداية ، وتأتى بمزيد من الغم فى النهاية · ولابد أن ينقلب كل حب دنيوى الى كرب قوى · فالكرب هو نهاية الحب ، كما أن الحزن نهاية الفرح ، والتعاسة تعقب السعادة ، ونهاية المزاج هى تعكير المزاج · وهذه هى نهاية الشوط الذى تسعى اليـه كل الكائنات الحيـة · افهم وتعلم ، يامن تدعى النباهة والذكاء ·

١٣ ـ أكرمان

بعد الخسارة تأتى الشماتة ـ هذا مايشعر به المحزونون • وهذا مايحدث منك لى وأنا المصاب المحزون • لقد حرمتنى من الحب ، وأنزلت بى الأسى ، وعلى أن أتحمل ذلك الى ماشاء الله • ولكن مهما كنت متبلد الحس ، ومهما كان تحصيلى من الحكمة على أيدى أربابها الأحبار تحصيلا قليلا ، فاننى أعلم علم اليقين أنك أنت اللص الذى سلبنى مبعث شرفى ، أنت سارق أفراحى ، وخاطف أجمل أيام حياتى ، ومبيد ملذاتى ، ومدمر كل شىء من شأنه تدبير وضمان حياة هانئة لى • فعلام أفرح وأستبشر ؟ أين أبحث عن السلوى والعزاء ؟ أين أجد الملجأ والملاذ ؟ أين أعثر على دار للشفاء ؟ بل أنى لى بنصيحة تقوم على صدق ووفاء ؟ ـ ماضاع ضاع ، وقضى الأمر • لقد هجرنى السرور قبل الأوان، وأصبحت أفراحى فى خبر كان ، وبسرعة البرق انتزعت منى المخلصة الوفية ، وجعلتنى أرملا وأطفالى يتامى بلا رحمة ولا شفقة • وهاأنذا أقف وحيدا

تعيسا ، مشحونا بالآلام لاأستطيع منك القصاص ،وأنت لاتريد مواساتي أو تعويض خسارتي ، نعم لم تعوضني عن أفراحي أو تضمد جراحي ، رغم جريمتك الكبرى في حقي . فما هو الوضع أيها الموت ، يامفرق الأزواج ؟ لايستطيع أحد أن يحصد من ورائك خيرا ، فأنت لاتريد تعويض أحد عن ضرر ألحقته به ، ولاتريد أن تمسح دموع من تبكيهم . انني أعلن هنا أن الرحمة ليس لها الى قلبك سبيل ، وأنك لم تتعود الا على اللعنة، فأنت عديم الرأفة حيث أتيت . أبتهل الى من بيده مقاليد الأمور ، من موت وحياة ، أن يرسل عليك مثل ماتؤديه للبشرية من خدمات ، ومثل ماتمنحهم من بركات ، أو تعطيهم من جزاءات ، وأن ينزل عليك نفس النهاية التى تفرق بها الجماعات . يارب الملائكة الأبرار ، عوضنى عما لحق بى من خسارة وأضرار ، عوضنى عن ألمى البالغ أمام هذا التحدى الصارخ . ثم انتقم لى من المجرم الغادر ـ وهو الموت ـ ياالهى يامنتقم ياقادر !

١٤ ــ الموت

حديث لاجدوى منه ، والصمت أبلغ منــه ، لأن الرجل المرتبك لايجنى من حديثه الأحمق سوى الخلاف، والخلاف يولد العداء ، وبعد العداء الاعتداء ، وبعد الاعتداء التجريح ، وبعد التجريح الألم وأخيرا الندم٠ انك تعلن الخـلاف علينا ، وتشـكو بأننا فجعناك فى زوجتك العزيزة جدا عليك ٠ انه لم يحدث لها سـوى الخـير والبركة : فقـد ضممناها تحت لوائنا ، دون المسـاس بشرفها وهى فى ريعـان الشـباب ، وجميل القوام ، وأبهج الأيام، وأفضل احترام واجب ، وأحسن وقت مناسب ٠ ذلك هو ما امتدحه وابتغاه كل الحكماء حيث قالوا : «ماأحلى الموت عندما تحلو الحياة» ٠٠ فلم يمت خير موتة ذلك الذى يشتهى الموت ويتمناه ، ولابد أن من يدعونا لقبض روحـه ، قد زهق طول حياته ٠ ياحسرة على كل من بلغ به العمر أرذله ، فهـو فعـلا مسكين فقير ، مهما كان لديه من المال الوفير ٠

في ذلك العام (١) ، وبعد عيـد الصـعود ، وعند عملية ولادتها ، تركنا الأم الشهيدة تودع الدار الفانية ببؤسها وخداعها البراق ·وكان هدفنا أن تلحق بالرفيق الأعلى في سعادة أبدية وحياة متصلة باقية ، وأن تخلد لراحة لانهائية هي أهل لها · ورغم كرهك الشديد لنا فاننا نتمنى لك أن تصعد روحك وتلتقي بروحها هناك في أعلى عليين ، وأن يبقى جسدك بجوار جسمانها في مقابر الدار الدنيا· أردنا أن نكون شفعاء لك ، نضمن لك التمتع بحسن صنيعها · صه اذن وكف عن الحديث ·· انك لو استطعت أن تنتزع من الشمس ضوءها ، ومن القمر برودته ، ومن النـار جذوتها ، ومن الماء سيولته ، فانك لن تستطيع أن تجردنا من سلطتنا ·

---

(١) أى عام ١٤٠٠ وبالتحديد يوم أول أغسطس منه ·

١٥ ـ أكرمان

لاينمق حديثه سوى المذنب • وهكذا أنت فاعل • انك تعودت أن تثبت لمن تنوى خدعتهم بأنك تجمع في شخصك بين الحلاوة والمرارة ، بين اللين والجمود ، بين الطيبة والقسوة ، وقد وضح ذلك في حالتي • فمهما دبجت حديثك ونمقته ، فأنا واثق تمــاما أن قسوتك الصارمة كتبت على الأسى وفقدان الشريفة الفاتنة • كما أعلم علم اليقين أنه لم يؤت أحد من العالمين مثــل مالله ولك من بطش وجبروت • ولكن الله لم يعذبني مثل هذا العذاب : لأنني لو كنت خالفت الله ــ الأمر الذى يحــدث للأسف كثيرا ــ لكان قد انتقم منى ، أو لكانت الطاهرة قد ردتنى الى صوابى وهدتنى •

اذن فأنت الآثم الجانى : لذلك أود أن أعرف من أنت ، وماهى وظيفتك ، وأين أنت ، ومن أين تأتى (ماهو أصلك وفصلك) • وماذا تفعل حتى استجمعت كل هذه السلطة الواسعة التى جعلتك تتحدانى وتؤذينى

دون سابق انذار ، وتتسبب فى خراب روضتى وهدم قوتى وتقويض دعائم قلعتى ؟

أواه ياربى ، ياعزاء كل القلوب الحزينة ! هبنى العزاء والصبر وعوضنى (فى مصيبتى) ، فأنا عبد يائس حزين ، وحيد مسكين ٠

اللهم أنزل بالموت الفظيع عـذابك وانتقامك ، واضرب اللهم عليه بالقيود ، وامحه من الوجود ، فهو لك ولنا جميعا العدو اللدود ٠٠ يارب ليس فى خلقك أفظع ولا أشنع ، ولا أفضح وأبشع ، ولا أظلم وأقذع من الموت ٠ انه يعكر صفو عرشك فى الدنيا ويخربه ، فهو يتوفى الصـالح قبل الطـالح ، ولايترك غالبا فى الدنيا الا كل مضر ومسن وسقيم ومالافائدة فيه ٠ أما الصالحون والنافعون فهو يحصـد أرواحهم ٠ فاقض ياأعدل القضاة على هذا القاضى الذى لايقضى بالعدل ٠

١٦ ــ الموت

ان أحمق الناس هو من يسمى الشر خيرا ، والخير شرا ، وهذا هو شأنك · تتهمنا بالظلم وبذلك تجور علينا · وسـوف نثبت لك ذلك ·· أنت تسـأل عمن نكون ، ونقول لك : نحن آلة الله ، نحن صاحب السيادة الموت ، أى المحشة (الحاصدة) الفعالة ، التى تمضى فى طريقها ، فتحصد الأبيض والأسود ، الأحمر والبنى ، الأخضر والأزرق ، الرمادى والأصفر ، وكل الأنواع من زهور زينة وحشائش ، بصرف النظـر عن جمالها أو قوتهـا أو فضـائلها ومميزاتها ، فلايشفع لزهرة البنفسج لونها الجميل ولا عبيرها الفواح ولا رحيقها ذو المذاق الطيب · تنبه ، هذه هى العدالة ·· لقد اعترف لنا بهذا الحق كل من الرومان والشعراء ، لأنهم عرفونا أحسن من معرفتك لنا ·

أنت تسأل عن كنهنا وجوهرنا · والاجابة أننـا لسنا بشىء ولكننا مع ذلك شىء : لسنا بشىء لانه ليست لنا حياة ، وليس لنا كيان أو هيكل ، ولسـنا روحا ،

كما لانرى أو نلمس • ولكننا شىء ، لأننا نهاية الحياة، نهاية الكينونة ، بداية العدم والفناء ، نحن أمر وسط بينهما • نحن حدث تخضع له رقاب الناس جميعا • كل مارد جبار أمامنا ينهار • نحن نقضى على كل كائن تدب فيه الحياة • نحن متهمون بذنب عظيم •

أنت تسأل عن مكان وجودنا ،ونحن لايمكن تحديدنا (بزمان أو مكان) ، ورغم ذلك فقد عثر على صورة لنا مرسومة على حائط أحد المعابد فى روما ، ونبدو فيها كرجل امتطى ظهر ثور معصـــوب العينين ، أما الرجل فهو يقبض بيده اليمنى على مغرفة ، ويمسك باليسرى جاروفا ، وبهما يبارز من فوق الثور ، بينما أخذ حشد كبير من مختلف طبقـــات الشعب يواجهـــه ويخـــانقه ويضربه ، ومنهم من يحارب بآلته اليدوية ، وتظهر بين الجموع راهبـــة تحمل كتـــاب الترانيم ، كانوا جميعا يقذفون بأسلحتهم ومعداتهم فى وجه ذلك الرجل الذى يمثلنا وهـــو فوق الثـــور • ولكن الموت غالبهم وغلبهم وواراهم جميعا التراب •

أما فيثاغورث فهو يقارننا بهيكل رجل له عينان بارزتان قاتلتان ، تحملقان فى كل أركان الدنيا وتكيل الموت لكل كائن حى •

أنت تسأل : من أين نأتى · نحن من جنة الله فى أرضه ، خلقنا الله ونادانا باسمنا الحقيقى حيث قال : (فى اليوم الذى تأكلون فيه من هـذه الفاكهة فسوف يدهمـكم المـوت وتهلكون) (١) · **لذلك فنحن نلقب أنفسنا دائما بالآتى :** «نحن الموت ، السيد المهيمن على الأرض والجو والبحر» ·

أنت تسأل عن معنى وظيفتنا ، وقد سمعت بعاليه أننا ننفع الدنيـا بأكثر مما نضرها · ألا فلتكف عن شكواك ، وتكتفى بذلك ، وتشكرنا لما أصابك من خير على يدنا ·

---

(١) « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » ·

١٧ ـ أكرمان

يحكى المسن قصصا جديدة ، والمتعلم قصصا فريدة ، أما من جاب بقاع الأرض ، فلايستطيع أحد أن يقارعه أو يعارضه • وربما قيل انها قصص مكذوبة ، لا عقاب على حاكيها ، وذلك لجهل سامعها بها •

فاذا كنت مسنا ، فلا حرج عليك من التأليف والتحريف • ورغم أنك تدعى بأنك خلقت فى الجنة لتقبض أرواح الناس ، بالعدل والقسطاس ، فان محشتك غير عادلة فى حصدها ، فهى تطيح بالورود فى قسوة وجحود ، بينما تترك الأشواك فى الوجود ، محشتك تترك الضار من الأعشاب ، أما النافع منها فتلحق به الدمار والخراب • أنت تدعى أنها تقضى بالعدل ، فكيف يتأتى أنها تبقى على أشواك أكثر من الورود ، وعلى أعشاب ضارة أكثر من النافعة ، وعلى أشرار أكثر من الاخيار ؟ أرنى أين المجتهدون المحترمون الآن ، ممن كانوا فى غابر الأزمان ؟ أعتقد أنك

حصدتهم حصدا مثل محبوبتي ، ولم يبق منهم جميعا سوى ذرات من رماد . أين ذهب أولئك الذين عاشوا على الأرض . وناجوا الرب، وطلبوا منه اللطف والشفقة والرحمة ؟ أين أولئك الذين اتخذوا من الأرض مستقرا لهم ، وتعاملوا مع النجوم ، وحددوا مسار الكواكب والأفلاك ؟ أين ذهب الحكماء والخبراء والعادلون والصناديد الذين تحكى كتب التاريخ الكثير عنهم ؟ ـ لقد اغتلتهم جميعا وبينهم محبوبتي الرقيقة ، بينما مازال التافهون الحقراء على قيد الحياة . من الجاني اذن ؟ فلو واتتك الشجاعة لتقول الحقيقة ـ أيها السيد الموت ـ فسوف تعترف بأنك أنت وحدك الجاني . انك تؤكد في ادعائك ، بأنك عادل في قضائك ، فلاتعفى أحدا ، بل ان ضربات محشتك تسقط العباد واحدا تلو الآخر . ولقد رأيت بعيني كيف أن جحافل جيشين عظيمين ، يربو عدد كل منهما على ثلاثة آلاف رجل ، التحمت مع بعضها ، واتخذت من المروج الخضراء ميدانا للقتال ، ورأيت كيف خاضوا حتى الركب في الدماء . وفي تلك الأثناء كنت تصول وتجول في كل الأرجاء . فقتلت بعض رجال الجيش بينما أبقيت على البعض الآخر . لقد لاحظت أن أغلب القتلى من السادة وليس

من العبيد . لقد انتقيتهم واحدا واحدا من بين الجموع، كما ينتقى المرء مانضج من حبات الكمثرى (١) . فهل حصدت بالعدل ؟ وهل هـذا حكم فصـل ؟ وهل تعدل المحشة فى القتل ؟.

تعالوا ياأعزائى الأطفـال .. تعالوا .. لنأتى جميعـا راكبين من كل فـج مهللين مادحين وللمـوت مكرمين معظمين ، فهو يدعي أنه أعـدل العادلين وكأن حكمه يمتاز عن حكم الله فى العدل والمساواة .

---

(١) الموت نقاد على كفه جوا   هر يختار منها الحسان

١٨ ـ المـوت

من لايفهم الأمور فهو يجهلها ولايستطيع التحدث عنها • وهذا ماحدث لنا • فلم نكن نعـرف أنك رجل بارع الى هذا الحد • لقد عرفناك مـدة طويلة ولكننـا نسيناك • كنا حاضرين ساعة وهبتك الآلهة (سبيلا) أسباب الحكمة (١) ، وعندما سلمك سليمان مقاليد حكمته وهو على فراش الموت ، وعندما منحك الله ماكان لموسى من سلطان على أرض الكنانة ، وعندما أمسكت أسدا من رجليه ونفضته فى الحائط • لقد رأيناك تعد النجوم وتحصى رمال البحر وأسماكه وتقيس قطرات المطر • رأينا بكل شغف ذلك السباق الذى شاركت فيه مع الأرنب • ورأيناك فى بابل أمام الملك سلطان تقدم له الطعام والشراب بكل تفخيم وتعظيم • ورأينـاك وفرحنا لك وغبطناك الشرف عندما كنت تحمل الراية وتتقدم موكب الملك الاسكندر ، تلك الراية التى أخضع

(١) الموت يشبع الشـاكي سخرية وتهكما • وفى نفس الوقت يستعرض المؤلف كل ما يلم به من ثقافة فى مختلف فروع المعرفة •

بها الدنيا تحت لوائه • وغمرتنا السعادة عندما رأيناك في أكاديمية (أفلاطون) وفي آثينـــا مع فطاحل العلم وجهابذته ، الذين أبدعوا الحـديث عن الرب وأظهروا معلوماتهم الغـزيرة ، وأخـذت أنت تناقشهم وتتفوق عليهم بحديثك الحكيم • وأنصتنا اليك معجبين ، عندما كنت تعلم القيصر نيروز كيف يفعل الخير ويتحلى بالصبر • وقد عجبنا عندما نقلت القيصر يوليوس في قارب من القش عبر البحر الهائج ورغم كل الزوابع • ورأيناك في ورشتك تصنع زيا وجيها من قوس قزح ، ازدان برسوم الملائكة والطيـور والحيـوانات وجميع أنواع الأسماك ، ثم نسجت فيه صورة البومة والقرد • وقـد ضحكنا كثيرا وامتدحناك ، عنـدما تربعت فوق عجلة الحظ في باريس ، ورقصت فوق ظهر الثور ، ومارست السحر وحبست الشياطين في زجاجة عجيبة • وتحققنا تماما من حكمتك البالغة عنـدما دعـاك الاله للمشورة بشأن خطيئة حواء •

فلو كنا عرفناك من قبل حـق المعرفة لاتبعناك ، ولتركنا زوجتك وكل الناس يعيشون الى الأبد • نعم، لو عرفناك سابقا لفعلنا كل ذلك من أجلك ، لأنك حقا حمار ذكي حكيم •

١٩ ـ أكرمان

كتب على الناس أن يتحملوا السخرية وسوء المعاملة ، ان أرادوا التوصل للحقيقة • وهذا هو مايدور معي الآن : فأنت تمتدحني وتنسب الى المستحيل من الأمور ، وأنت الذى تأتي بأعمال الفجور ، وليس لك سوى القوة والعنفوان من دستور • لقد أسأت معاملتي وأهنتني وجرحتني • فاذا ماحدثتك عن ذلك ، فانك تسلط على لسانك ، وتصب على غضبك وامتهانك • ان من يزرع الشر ويتكبر ويتعالى ، ولايريد الخضوع والامتثال للجزاء ، بل ويفعل كل شيء فى زهو وخيلاء، فان عليه أن يتنبه ويحترس حتى لايحصد العداوة ويجنى البغضاء •

ولتعتبر بحالتي •• فمهما طال امتهانك لى أو قصر ، ومهما أسأت معاملتي وظلمتني ، فستجدني صابرا ، أتحمل ولا أنتقم ، رغم أن لى حق الانتقام • انني أريد اليوم أيضا أن أكون أفضل منك : فاذا كنت قد ارتكبت فى حقك اثما أو رميتك بما لايليق ،

فنبهني اليه ودلني عليه ، فأنا على استعداد للتكفير عنه • أما اذا لم يكن ذلك كذلك ، فعوضني اذن عن خسارتي، أو دلني على كيفية التخلص من حزني وحسرتي •• حقا ان أحدا لم يصبه مثل ما أصابني ، ورغم ذلك كله فعليك أن تضع تأدبي واعتدالي موضع الاعتبار : فاما أن تعوضني عما ارتكبته في حق حاميتي من الأحزان وفي حقي وحق أطفالي ، واما أن تذهب وتحتكم الى الله ، فهو أعدل القضاة وخير حاكم عليك وعلى الناس أجمعين • كان باستطاعتك أن تستسمحني ، انني أردت أن أترك لك أمر ذلك ، فقد كنت واثقا من انك ستهتدي بنفسك الى العدالة وتعوضني عما فجعتني فيه •

فلتعد الى رشدك ، وتحكم العقل • والا فلتصطدم المطرقة بالسندان • فالشر بالشر ، والقسوة بالقسوة ، وليكن مايكون (١) •

---

(١) السن بالسن ، والعين بالعين ، والبادي أظلم •

٢٠ ـ المـوت

تأسر الكلمات الطيبة نفوس النـاس وتهدىء من روعهم ، كما يؤدى بهـم الفهم والادراك الى الاعتـدال واللطف ، ويصل بهم الصبر والتأنى الى مراتب المجد والشرف • والنفس الثـائرة لاتسـتطيع أن تـدرك الحقيقة •

فلو حدثتنا في بادىء الأمـر حـديثا وديا ، لكنا علمناك عن طيب خـاطر ، انه لايصح أن تشـكو موت زوجتك أو تبكيها • ألم تسمع عن ذلك الحكيم الذى أراد أن يموت في الحمام ؟ ألم تقرأ مؤلفاته التى قال فيهـا انه لاينبغى لأحد أن يشكو موت أحد من الأنام ؟ ان لم تكن تعرف ذلك ، فقد حان الوقت لتعرفه : ان الانسان بمجرد أن يولد ، فقد تجـرع كأس الموت (وكأنه ولد ليموت) ، فالنهاية شقيقة البداية ، ومن خرج لابد وأن يعود ، ولاينبغي لأحـد أن يعترض على الأمـر المحتوم والقضاء المكتوب • كما لايصح أن يعارض الفرد فيما

كتب على الجماعة وقــدر • ولابــد أن يــرد الانسان ما استعار (١) •

ان البشر جميعا ضيوف أغراب فى هــذه الدنيا • وهم جميعا سائرون من الوجود الى العدم • فحياة البشر تجرى بخطى سريعة واسعة نحو النهاية • ومن يعش الآن ، قد يمت مابين غمضة عين وانتباهتها •

وباختصار وايجاز : الموت مكتوب على جبين كل انسان (٢) • فهو وراثة الخلف من السلف • فاذا كنت تبكى شباب زوجتك ، فلست على حق ، لأنه بمجرد أن يعيش الانسان (مدة) ، فقد أصبح عرضة للموت • ربما تظن أن الكبر (الشيخوخة) حرز أمين أو حصن حصين (ضد الموت) • كلا ، انه سقيم ، ملىء بالمتاعب قبيح ، قاس ، تزدريه نفوس الناس جميعا • انه لافائدة فيه ولا طائل من ورائه • فالتفاح الناضج يتساقط وحده فى الأوحال ، كما تسقط الكمثرى البــالغة النضج فى الماء الآسن •

واذا كنت تبكى جمالها ، فهــذا تصرف صبيانى : فالجمال سريع الزوال ، تحطمه الشيخوخة ويفنيه الموت •

(١) ولابد يوما أن ترد الودائع •
(٢) القرآن : « انك ميت وانهم ميتون » •

عندئذ تفقد الشفاة الوردية لونها وتذبل ، والخـدود الحمراء تصبح شـاحبة ممتقعة ، وكل العيـون المشرقة الساطعة لابد وأن تفقد نورها وتظلم • ألم تقـرأ من من تعاليم هيرميس الحكيم (١) عن رجل أراد أن يحمى نفسه من خطر النساء الفاتنات ، فأخـذ يقول : من الصعب الاحتفاظ بما هو جميل ، فالناس جميعا تشتهيه • لكن من السهل المحافظة على القبيح ، فهو ينفر الناس •

دعك من شكواك •• لاتبك على خسارة أو ضياع، فأنت لاتستطيع له أى اعادة أو ارجاع •

(١) هيرميس : حكيم يونانى اعتبروه فى القرون الوسطى حجة فى شـئون السحر •

٢١ ـ أكرمان

أسمع عن الحكماء قولهم : «عاقل هو من يقبل الجزاء الوفاق دون عراك أو شقاق ، ومن يقبل الخسارة العادلة دون مجادلة باطلة» ، وما أصبتني به يمكن تحمله وقبوله ، ولكن اذا كان لزاما على المجازى العادل أن يكون معلما ومرشدا ، فانصحني وعلمني كيف أتغلب على حزني البالغ ، وغمي الشديد ، وحسرتي الزائدة عن الحدود ، علمني كيف أستأصلهم من القلب ، وأطردهم من المزاج ، وأمسح آثارهم من الحواس • فوالله لقد أصابني الغم والأسى ، عندما انتزعت كرامة بيتي ورمز الطهر والاخلاص فيه ، انتزعت في لمح البصر ، ماتت ، وأصبحت أرملا وأولادي يتامى بلا أم •

آه أيها الموت ، الدنيا كلها تشكو منك ، وأنا أيضا ، وقد يخف بلاؤك وشرك ، اذا كان فيك جانب طيب وهو النصح والمساعدة والارشاد ، فساعدني ودلني كيف أتخلص من آلمي وكمدي وأطردهما من

القلب ، علمني كيف يستعيض أطفـالى عن مثل أمهم الطاهرة ، والا فسأبقى دائما كسـيرا وهم حزانى •
وعندئذ لايصح أن تؤاخذني لانني ألاحظ أن الحيوانات التى لاتعقل تحزن بالفطرة على فقد رفيقها •

انك مدين لى بالمساعدة والنصـيحة والتعويض ، لأنك تسـببت في ضررى وخسـارتى • فلو لم يحدث ذلك ، لكان تعجيزا وتحديا لانتقام القوى القـاهر •
لابد على أى حال من القصاص والانتقام ، حتى ولو أدى الأمر الى أستعمال البلطة والمجراف مرة أخرى (وليكن بعد ذلك الطوفان) •

٢٢ ـ المـــوت

تقوقىء الأوزة كما يحلو لها ، مهما وعظها الانسان وهذا هو حالك ·· لقد سبق أن شرحنا لك بأن الموت لايصح الطعن فيه · لنفرض أننا أحد محصلى الضرائب يدفع له الناس ضرائب عن حيــاتهم ، فلماذا تعترض أنت وتعارض ؟ الواقع هو أن من يريد خداعنا فانما يخدع نفسه ·

تعقل الأمــر ، وتذكر جيدا : أن الحياة خلقت من أجل الممات ، ولو لم توجد الحياة ، لما كنا نحن (الموت) وما كانت لنا وظيفة وعندئذ تخلو الدنيا من النظام · فاما أنك فعلا شربت كأس الحزن حتى الثمالة ، أو أن الجنون صفة من صفاتك ، فاذا كنت مجنونا ، فاطلب من الله ينعم عليك بنعمـــة العقل · أما اذا كنت مليئا بالأحزان ، ففض حزنك ، وفرج من كربك ، واعلم أن حياة البشر فى هذه الدنيا ماهى الا نسمة ريح فقط ·

أنت تطلب نصيحة تخلصك من آلامك وتبعد عنك أحزانك ، وقد سـبق أن علمك أرسـطو بأن الفرح

والحزن والخوف والأمل ـ هذه العوامل الأربعة ـ تجلب الهموم للدنيا بأسرها ،وبالذات لأولئك الذين لايحترسون منها ٠ الفرح والخوف لايدومان طويلا ، بينما تطول فترة الألم والأمل ٠ فمن لايطرد الأربعة من وجدانه ، فهو يعيش طول حياته غارقا فى أحـزانه ٠ ان سـنة الحياة الدنيا هى أن الأفراح تعقبها الأحـزان ، والحب يخلفه الألم والحرمان ٠ فالفرح والألم حليفان متعاقبان٠ ونهاية أحدهما هى بداية الآخر ٠ وليس مثـل الألم والفرح الا كمثل انسان رسم شيئا فى نفسه ولايريد أن يتنازل عنه ، تمـاما كما هـو الحـال مع القناعة والطمع : فالقانع لايشعر بالفقر ، والطماع لايشـعر بالغنى ، ذلك لأن الاكتفاء والعوز ، أى القناعة والطمع، لاتتوقفان على مقدار الملكية ولا على غيرها من الأمور ، ولكنهما شعور فى أعماق الصـدور ٠ فمن لايريد أن يمحو آثار الحب من أعماق فؤاده فعليه أن يتحمل مابه من آلام ٠ عليك اذن أن تطرد من قلبك ومن فكرك ومن مزاجك كل مايذكرك بالحب ، وعنـدئذ سـوف تنمحى الأحزان ، وتزول الآلام ٠ وبمجرد أن تفقـد شـيئا لاتستطيع استرجاعه ، فعليك أن تتصرف كمـا لو لم تمتلكه أبدا ٠ آنـذاك تتركك الهمـوم وتذهب عنك الأحزان ٠

فان لم تفعل ذلك ، فالهم الكثير فى انتظارك : ذلك لأنه عند وفاة أى طفل ، يصيب الحزن قلبك · وعند وفاتك ، يصاب أولادك بالفجيعة · أى أن الحزن يصيبكم بمقدار كبير ، عندما يودع أحدكما الآخر الوداع الأخير · أنت تريد أن تعوضهم عن أمهم ، انك لو استطعت أن تسترد ماسلف من أعوام ، وتحكى ماوقع من حديث وكلام ، وتستعيد للاناث بكارتهن ، فانك قد تعيد لأطفالك أمهم ثانية · وقد نصحتك الآن بما فيه الكفاية ، فهل يمكنك فهم ذلك ـ يابطىء الفهم وقليل الدراية ؟·

٢٣ ـ أكرمان

مع مرور الوقت تتضح للمرء الحقيقة : من تعلم الكثير ، أجاد التعبير • ان أقوالك حلوة معسولة ، أستسيغ بعضها الآن بسهولة • الا أنه لو كان لابد من محو الفرح والحب واللذة والمتعة من الدنيا ، لكانت الدنيا حينئذ على أسوأ حال • انني أستند في رأيي هذا الى الرومان ، فقد جربوا بأنفسهم وعلموا أطفالهم أن يحافظوا على السعادة والسرور ، وأن يتباروا ويتبارزوا ويتسابقوا فيالجرى والقفز •وأن يمارسوا مختلف الفنون التربوية الراقية في أوقات فراغهم ، وذلك بقصد أن يتجنبوا السوء ويبتعدوا عن الشرور ، حيث ان العقل الانساني لايستطيع أن يقف مشلولا ، فقد أخذ على النسيج طول الوقت ، اما خيرا أو شرا ، فهو لايكف حتى في النوم عن عمله ونشاطه • فلو جردناه من الأفكار الطيبة ، فسوف تتزاحم عليه الأفكار السيئة : خروج الصالح يعنى دخول الطالح ، والعكس بالعكس • ولابد أن يستمر هذا التغيير حتى نهاية

الدنيـا • فمنذ أن خلت الدنيـا من السرور والعفـة والطهارة والحيـاء والحشمة وغـيرهم من الفضـائل والمحامد ، ــ منذ ذلك امتلأت الدنيا بمزيد من الخبث والفضائح والغدر والخيانة والسخرية ، وهذا ماتراه كل يوم •

فاذا استلزم الأمر أن أطارد ذكرى محبوبتى الغالية من رأسى وعقلى ، فسوف تعود اليه أفكار السوء ، وذلك هـو مايزيد من تشبثى الى الأبد بذكراها • اذا تحول الحب الكبير الى حزن عميق ، فمن ذا الذى يستطيع أن ينسى ذلك بمثـل هـذه السرعـة ؟ لايفعـل ذلك الا الفاسدون • أما الأصدقاء المخلصون فهم دائما يفكرون فى بعضهم • ومهما بعدت المسافات ، وطالت السنوات، فهى لاتفرق بين الأرواح المؤتلفات ، واذا كانت زوجتى قد ماتت بالجسد ، فانها تعيش فى ذاكرتى الى الأبد •

فياأيها الموت : لابـد أن تخلص فى نصحك ، اذا أردت أن تؤتى نصيحتك ثمارها ، والا فأناصبك العداء والخصام ، فأنت طائر الخراب والظلام •

٢٤ ـ الموت

عاقل كل من لايبالغ فى فرحه عند الربح ، ولا يتمادى فى حزنه عند الخسارة . وهذا مالاتفعله أنت . من يطلب النصيحة ولاينتصح فلاداعى لنصحه ، وليس لنصيحتنا الصادقة آثر لديك . وسواء تألمت أم سعدت ، فاننا نريد أن نصارحك بالحقيقة ، وليسمعها كل من أراد .

أنت تريد بعقلك الحائر ، واحساسك القاصر ، وقلبك الشاغر ، أن تجعل من الانسان أكثر مما هو عليه قادر . اعتبر الانسان كما تشاء أن تعتبره ، انه لايستطيع أن يكون بأكثر مما أقوله لك ـ مع احترامى لكل السيدات الطاهرات : الانسان وليد خطيئة ، يغذى فى بطن آمه بقاذورات غير طاهرة (١) ، ثم يولد عاريا ملوثا مثل خلية (سلة) النحل ، فهو عبارة عن كومة

(١) القرآن : ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين » ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم انشأناه خلقا آخر . » .

حثـالة ، وبرميـل زبالة ، وطعـام للديدان ، وموطن
للأعفان ، وطشت غسيل مقرف ، وجيفة نتنة ، وصندوق
عفن ، وزكيبة دون قاع ، وحقيبة ذات ثقوب ، وكور
منفوخ ، ومزرد طماع ، ومبولة كريهة الرائحة ، وسطل
تفوح منه المكاره ، وضـوء دمية خـداع ، ومنزل من
الطين يسكنه اللصوص ، ووعاء أطفال لايقنع ، وخيال
مرسوم • ألا فليعلم ، من أراد أن يعلم : أن للانسان
كامل النشأة تسع فتحات فيجسده ، وتنساب منها جميعا
أقذار كريهة نجسة ، تفوق فى نجاستها كل شىء • انك
لاتستطيع أن ترى انسانا كامل الجمال • فلو كانت لك
عيون الفهد الثاقبة واستطعت أن تبصر داخل الانسان،
فسوف تشمئز نفسك ويقشعر بدنك ، واذا كشفت عن
أجمل سيدة حجابها ، ونزعت عنها طلاءها ، فسوف ترى
دمية حقيرة ، وزهرة سرعان ماتذبل ، وبريقا لايدوم ،
وكتلة طينية سرعان ماتتفكك وتذوب • واذا أمكنك
أن تذكر لى عدة جميلات من بين الحسناوات اللاتى عشن
منذ مائة سنة ـ باستثناء المرسومات فى لوحات ـ فانك
تفوز منى بتاج القيصر • فلا تعبأ بشىء ، وانس الحب
والأسى (١) ، دع نهر الراين يجرى كالأنهار الأخرى ،
أيها الفتى الحكيم من قرية الحمير •

(١) دع الأمور تجرى فى أعنتها •• ولا تبيتن الا خالى البال •

٢٥ ـ أكرمان (١)

خسئت يامنبع العار والشنار · كيف يتأتى لك أن تحطم الانسان ، وتسيء معاملته ، وتجرده من الشرف ، وهــو المخلوق النبيل ، بل وأحب مخلوقات الله اليه ؟ انك بذلك تطعن في الخالق · لقد أدركت الآن ـ والآن فقط ـ أنك كذاب آشر ، ولم تخلق في الجنة كما تدعى · فلو كنت من أهل الجنة ، لعرفت أن الله أحسن خلق الانسان وكل الأشياء ، ثم رفع الانسان فوق كل شيء قدرا ، ومنحه السيادة عليها جميعا ، وجعلها تخضع له وتنقاد · ومن ثم يسيطر الانسان فعلا على الحيوانات في البر ، والسمك في البحر ، والطيــور في الجو ، والفواكه والثمار على كل الأشـجار · فلو صح قولك بأن الانسان حقير ، نجس ، شرير ـ فمعنى ذلك أن الله لم يحسن الخلق والتدبير · ولو صح قولك بأن يد العلى القدير قد خلقت الانسان دنسا نجسا ـ كما تدعى ـ لكان خالقا مهينا · وعليه فلايتناسب ذلك مع القول

(١) تعتبر هذه الفقرة قمة الحوار ، ومن أبلغ ما قيل في تقييم الانسان ·

بأن الله أحسن خلق الاشياء كلها ، ثم فضــل الانسان عليها جميعا ·

أيها الموت ، دعك من هرائك الذى لايسمن ولايغنى من جوع · انك تفضح ألطف مخلوقات الله · فالملائكة والشياطين وعفاريت الغــابة وطيــور الموتى ــ كلها أرواح نفاها الله ، أما الانســان فهو أنبل خلق الله ، وأمهرهم ، بل وأكثرهم حرية (١) · أحسن الله تكوينه ليكون شبيها به ، على حد تعبيره سبحانه وتعــالى يوم خلق الدنيا ·

فأنى لنا من صانع أجاد صنعه وخلق عملا يتميز بهذه الدقة وتعدد الجوانب ؟ أو صنع كرة صغيرة تضاهى فى فنها رأس الانسان ؟ ان ذلك الرأس يحتوى على قوى فنية عجيبة ، تعجز كل الأرواح عن فهمها وادراكها · ففى مقلة العين نجد الابصار ، وهو أهم شاهد ودليل ، وقد ركب تركيبا فنيا على طريقة المرآة ، ويصل فى مداه حتى عنــان السماء · وفى الأذنين تكمن حاسة السمع التى تصل الى أمــد بعيد ، وهى بديعــة الخلق وتحميها جلدة رقيقة وهى تستقبل وتميز بين الأنغــام

(١) قارن الفترات الأدبية التى عظمت من شان الانسان بعد ذلك مثل فترة العاصفة والدفع ، ومثل العصر الكلاسيكى ··· الخ ·

الخلايا الساحرة ٠ والأنف يحتوى على حاسة الشم ، وله فتحتان لدخول الروائح وخروجها ، وهو مزود بالاحساس اللازم للتمتع بالروائح الطيبة العطرة ٠ وفى الفم نجد الأسنان ، وهى تطحن كل يوم غذاء الأبدان ، ثم نجد اللسان ، وهو صحيفة رقيقة ، تفصح للانسان عن رأى غيره من الخليقة ٠ وهناك أيضا حاسة التذوق لمختلف الأطعمة ٠ أضف الى ذلك أن الرأس هو أيضا ملتقى الأفكار الواردة من أعماق القلب ، والتى يصل بها المرء بسرعة الى حيث يريد ، ويحلق بها فى السماء ، بل ويصعد الى مابعدها ٠ ثم تميز الانسان دون غيره بالعقل وهو كنز الكنوز ٠ والانسان هو وحده المخلوق الذى لايقدر على خلقه سوى الله ، هو آية الله فى خلقه ، أحكم تركيبه بمهارة وفن واجادة ٠ كفى هذرا ، أيها الموت ٠ انك عدو الانسان ، ومن ثم فأنت لاتذكره بخير ٠

٢٦ ــ المـوت

مهمـــا زاد العتـــاب واللعن والســـباب ، أو حتى التمنى والرجـــاء ، فانهم لايمـــلأون كيســـا ولو كان صغيرا • يضاف الى ذلك : أن الجدال مع كثيرى الكلام لاينفع • فلنبدأ برأيك القائل بأن الانسان مزود بكل أنواع المعرفة والجمـــال والكرامة • رغم ذلك لابد من وقوعه فى شباكنا ولا مفر له من خيـــوطها • ان علم النحو ــ وهو أساس كل حديث بليغ ــ لايســـاعده بكل مافيه من حسن البيان ودقة التعبير ــ وعلم البلاغة وهو النبع الفياض لكل أحاديث التملق ــ لايساعده أيضـــا بتعبيراته الوردية ذات الألوان الجـــذابة • وعلم المنطق ــ وهو أعدل سيف يفصل بين الحقيقة والزيف ــ لاينفع أيضا رغم أسلوبه الملتوى وطرقه المعوجة فى التضليل عن الحقيقة • والهنـــدسة ــ وهى التى تكشف معـــالم الأرض وتقدرها وتقيسها ــ لاتجـــدى هى الأخـــرى بقياســـها السليم وتقـــديرها القـــويم وعلوم الرياضة بتنظيمها الدقيق للأعداد ، لاتنفع رغم حساباتها وعدها

وحصرها ورمــوزها • وعلم الفلك ـ المســيطر على الكواكب ـ لاينفع أيضا فى مثل هذا الوضع ، رغــم قوة نجومه وتأثير كواكبه السيارة • والموسيقى ـ وهى الذراع الأيمن للصوت والمغنى ـ لاتجدى رغم حــلاوة أنغامها ورقة أصــواتها • والفلســفة ـ وهى حقــل الحكمة الخصيب ، الذى حرث طــولا وعرضا وغرست فيه أنواع المعرفة لتثمر أطيب العادات ـ لافائدة عندئذ فيها ، رغم كمال نباتاتها • كذلك لاتجدى (١) : الطبيعة رغم مشروباتها المفيدة فى حالات عــديدة ، والتنجيم الذى يجيب بمهــارة على كثير من التســاؤلات الدنيوية بمساعدة تحديد مسار الكواكب وعلامات النجوم فى القبة السماوية ، وكشف الطالع الذى يزيح الستار عن المستقبل عن طريق استطلاعه فى المياه ، والفلك هــو المفسر للأحداث الدنيوية بمساعدة الظواهر السماوية ، وقراءة الكف ومعــرفة أسرار اليــد من تقاسيم سطحها الداخلى ، والسحر بتحضيره لأرواح الموتى وطلاســمه المبهمة ، والتعزيم والشــعوذة بطــلاسيمها وترانيمها وتوســلاتها الفعــالة ، والكاهن المتفهم للغة الطيور

---

(١) ابتدأ « الموت » يختصر جملة « لا تنفع » ، واكتفى بذكر العلوم والفنون السائدة آنذاك •

وبذلك يتنبأ فعلا بمستقبل الأمور ، وعراف المستقبل عن طريق ذبائح القـربان ، والسـحر بأمعاء الأطفال وأحشاء الطيور البرية ، ورجل القانون ــ ذلك المتدين المنعدم الضمير ــ لايجدى هو الآخر رغم قلبه لأوضاع الحق والباطل ورغم أحكامه المعوجة ٠

كل هذه الفنون ومايتصل بها لاتنفع فعلا : لابد أن نحصد كل انسان ، ونطحنه في ماجورنا ، ثم نصفيه وننقيـه فى برميلنـا ٠٠ صـدقنى ، أيهـا الفـلاح المتغطرس ٠

٢٧ ـ أكرمان

لايصح أن يقابل المرء الاساءة بالاساءة ، بل ينبغى أن يتحلى الانسان بالصبر ويتحرى تعاليم الفضيلة ٠ وأريد أن أشق هذا الطريق ، فربما تقلع عن ثورتك وتتوخى الصبر وطول البال ٠

وكما فهمت من حديثك ، فأنت تدعى أنك تخلص لي النصيحة ٠ واذا كنت فعلا تعرف الاخلاص ، فأرجو أن تنصحنى باخلاص ، كما لو كنت قد قطعت على نفسك عهدا بذلك : كيف أخطط الآن لحياتى ؟ عشت سابقا فى ظل الحياة الزوجية البهيجة ، فأى وجهة أتجه الآن ؟ هل أسلك سبيل الدنيويين من بنى الانسان أم أختار طريق الرهبان ؟ فالطريقان أمامى مفتوحان ٠ لقد فكرت فى حياة بعض الناس ، ووزنتها وقيمتها بمنتهى العناية والاحتراس : فوجدتها كلها غير كاملة، على الانهيار مقبلة ، وفى الخطايا نازلة ٠ اننى فى حيرة من أمرى ، فالى أين أتوجه ، لاأدرى ٠٠ ان الانسان فى أى وضع ومكان ، مكتوب عليه الهوان ٠ أيها الموت،

عليك بالنصيحة ، فهذا وقتها • اننى أجد ، بل وأظن وأعتقد ، أنه لن يعود لى فعلا مثل ما افتقدت من بيت طاهر وانسان بحب الله ظـافر • أقسم لك بروحى : لو كنت أدرى أننى سأوفق فى الحياة الزوجية كما كنت، لما ترددت أن أعيش فى كنفها مهما امتـد بى العمر • فالرجـل الذى رزق بزوجة صـالحة ، هو رجل متمتع سعيد ، منشرح الصدر ، معتدل المزاج ، أينمـا كان وحيثما وجد • مثل ذلك الرجل يجد متعة فى السعى وراء لقمة العيش ، وفى الطموح الى المجد والشرف • كما أنه يشعر بالسعادة فى أن يدفع الشرف بالشرف ، ويقابل الاخلاص بالاخلاص ، ويجازى الحسنة بالحسنة • انه ليس فى حـاجة أن يحـرس زوجته ، لأن أحسن حراسة ورعاية هى التى تمارسها السـيدة الفـاضلة بنفسـها • فمن لايصـدق زوجته ويثق فيها ، دامت الهموم له صديقا والمنغصات رفيقا •

ياإله السموات العلى ، ويامن بيده مقاليد السعادة الروحية ، هنيئا لمن أنعمت عليه بزوجة فى مثل ذلك الطهر والنقـاء •• عليه أن يتجه بقلبه الى السـماء ، رافعا يديه لك دائما بالشكر والثناء •

أما أنت أيهـا الموت ـ ياصاحب النفوذ الواسع ، فافعل خير ماتستطيع •

٢٨ ـ المـوت

تعود كثير من الناس على المغالاة فى المدح أو المبالغة فى القدح ، عندما يريدون تنفيذ أمر من الأمور ـ لكن يجب أن يعرف المدح أو القدح حد الاعتدال ، ليطابق مقتضى الحال ٠

فأنت تمتدح الحياة الزوجية مدحا يفوق كل حد ٠ لكننا نريد أن نحدثك عنها ٠ وبغض النظر عن النساء الطاهرات نرى أنه بمجرد أن يتزوج الرجل ، فقد دخل هو وزوجتــه السجن لدينــا ٠ عليه عنــدئذ واجبات ومسئوليات وتبعات ، كأنه يجر زلاقة ،وفى رقبته طوق وزناق ، تثقل كاهله الأعباء والمشاق ، التى لايستطيع التخلص منها طبقا للقانون ، طالما لم نمنحه رضانا (أى نتــوفاه) ٠ لايخــلو بيت المتزوج كل يوم من الرعــد والعواصف الثلجية ، والذئاب والثعابين ٠ فالمرأة تطمع دائما أن تكون هى رجل البيت (لها اليد العليا) : اذا أراد النهوض ، فضلت القعود ، واذا أراد هذا ، أرادت ذلك ، واذا أراد شرقا ، أرادت غربا ٠ وكل يوم تتكرر

هذه المأساة ، فيشعرفيها بغلبه وآساه ، انالمرآة تستطيع
فى لحظةواحدة آن تخدعوتمكر وتتملق وتهذى وتلاطف
وتزمجر وتضحك ثم تبكى ، فكل ذلك فى دمها • هى فى
ساعة العمل سقيمة ، وفى أوقات المتعة سليمة ، ثم وديعة
أو متوحشة حسب ظروفها •هى فىغنى عن آىمساعدة،
اذا أرادت المعارضة •• اذا آمرت بشىء تركته ، واذا
نهيت عن شىء فعلته • فلا يعجبها العجب : اذ تجد شيئا
شديدا فى حلاوته ، وآخر زائدا فى مرارته ، هذا آكثر
من اللازم ، وذاك أقل من اللازم ، هــذا قبل الأوان ،
وذاك بعد فوات الأوان • وهكذا تعيب على كل الأمور
••• فاذا حدث وامتدحت شيئا ،فانها تعيد فيه وتزيد•
حتى المدح والثناء لايخلو من السخرية والهجاء • آما
الزوج فلاينفعه آى حل وسط : فان كان طيبا مسالما ،
أو قاسيا صارما ، فهو فى كلا الحالتين ملام • حتى اذا
مزج الطيبة بالشدة ، فليس هناك من حل وسط ، لأن
الأمر ينتهى به دائما الى سوء الجزاء • فى كل يوم طلب
جديد ، أو خناقات وتهديد ، فى كل آسبوع عناد أو
عكننة ، فى كل شهر سيئات وبدع أو رعب وفزع ، فى
كل عام ملابس جديدة أو مشاحنات يومية ــ كل ذلك
يواجهه الرجــل المتزوج ، مهما فعــل • ولنسكت عن

مآسيه فى ليـــاليه ، فنحن نستحى لكبر ســننا • ولولا حرصنا على الترفق والرحمة بالسيدات المحصنات لكنا نضيف الكثير ونحكى الوفير عن غير الفاضلات • عليك اذن آن تتنبه وتعرف ماذا تمدح •• فأنت لاتستطيع آن تميز بين الذهب والرصاص •

٢٩ ـ أكرمان

«فاضحو النساء لابد وأن يفضحوا» ـ هكذا يقول الحكماء العارفون ٠ فماذا دهـاك اذن أيها الموت ؟ ان مسبتك الهوجاء للنساء، حتى ولو كانت بعد استئذانهن، هى فى الحقيقة عار عليك ، واهانة لهن ٠

نجـد فى مؤلفات بعض الحكماء أن المرأة اذا لم تأخذ بزمام الأمور وتوجه دفة السفينة ، فلايمكن أن يصـل الزوج الى بـر الأمان ، أو يشـعر بالسـعادة والاطمئنان ٠ فالزوجة والأطفال هم جزء غير يسير من السعادة فى الدنيا ٠ وعلى ضـوء هـذه الحقيقة فاضت الفلسـفة الحكيمة بالسـلام على روح حكيم المواسـاة الفيلسوف الرومانى بوتيوس ٠ وشاهدى على ذلك هو كل عاقل حكيم ومفكر عظيم : لاوجـود لرجـل عفيف طاهر الا فى كنف سـيدة طـاهرة عفيفة ٠ وليتقول القائلون كما يريدون ٠ فالمرأة المؤدبة الجميلة صاحبة الصون والعفة أفضل من أى سـعادة دنيوية أخـرى ٠ ليس هناك رجل ذو رجولة حقة ، دون أن يكون وراءه

امرأة . وكلما اجتمع علية القوم في آى مناسبة ــ في كل ميدان وكل بلاط وكل سباق وكل تحركات الجيش ــ فان المرأة تبلى أحسن البلاء . ان من يقوم على خدمة النساء (يتغنى بهن مثل الشعراء) (١) لابد وأن يكون طاهر السريرة ، مبتعدا عن كل اثم وجريرة . فالفاضلات لهن مدرسة يغرسن فيها الشرف والتربية القويمة . والنساء تمتلكن زمام السعادة الدنيوية : هن حريصات على أن يتم كل عمل نبيل وكل تسلية دنيوية على شرفهن ، كما أن مجرد اشارة تهديد من اصبع امرأة طاهرة ، يعتبر تربية للرجل وعقابا أمضى من أى سلاح . وبالاختصار ودون محسنات : ان المحصنات من النساء هن سر بقاء الدنيا وتكاثرها وثباتها .

ومع ذلك فلابد من وجود الرصاص الى جانب الذهب ، والزمير الى جانب القمح ، والعملات المزيفة الى جانب الحقيقية ، والفاجرات الى جانب المحصنات . الا أنه لايصح أن نجازى الصالح بذنب الطالح . صدقنى في ذلك ، ياوحش الجبل !

---

(١) يقصد المؤلف هنا سيدات القرون الوسطى اللاتى تغنى بهن الشعراء وكن يشجعن الفن بالعطاء والمن .

٣٠ ـ المـوت

أحمق هو من يعتبر كوز الذرة كتلة ذهب ، والمعظم ياقوتا أصفر ، والزلط ياقوتا أحمر ، ومغفل مخبول هو من يعتبر الحطب حصنا ، ونهر الدانوب بحرا ، والصقر بازا . وها أنت تمتدح مايفتن العيون ، دون أن تفكر في المسببات ، ذلك لأنك لاتدرى أن كل شيء في هذا الكون عبارة عن شهوة الجسد أو شبق العيون وطمعها ، أو زهوة الدنيا وخيلائها . فأما شهوة الجسد فهي تبتغي المتعة واللذة ، وأما شبق العين وطمعها فهو يشتهي التملك والثراء ، وأما زهوة الدنيا وخيلاؤها فهي تطمع في المجد والشرف . ثم ان الامتلاك يجلب الجشع والطمع ، واللذة تذهب بالحياء ، والمجد يصاحبه الغرور والخيلاء . أما النتيجة الحتمية للثراء فهي الجشع والفزع ، كما أن عاقبة اللذة هي الشر والخطيئة ، والمجد والشهرة يأتيان بالزهو والكبرياء . فلو كان بامكانك ادراك ذلك ، لكنت تلاحظ مابالدنيا كلها من غرور وخيلاء . وعندئذ تتحمل راضيا ماقد يصيبك من أفراح وأحزان وتكف عن لومنا وعتابنا .

الا أنه لو كان الحمار يجيد اللعب على القيثارة ، لاستطعت أنت أيضا أن تدرك الحقيقة . ولذلك فنحن في قلق عليك شديد . اننـا عنـدما فرقنا بين الفتى بيراموس ومحبوبته تيسبى (١) ، وكانا عبارة عن قلب واحد وروح واحـدة ، وعنـدما انتزعنا من الاسكندر سيطرته وسلطانه الواسـع ، وعنـدما حطمنا باريس أمير طروادة ، ومعبـودته هيلينا اليونانية ــ عنـدما فعلنا كل ذلك ، لم نصـادف من اللوم مثـل مانلنا على يديك الآن . بل لم يصبنا الكثير من المتاعب والمضايقات، عندما قبضنا على روح القيصر كارل ، والشريف فيلهيلم (وليام) ، ديتريش فون بيرن ، بوب المتين ، سيجفريد الحصين . ومع أن كثيرا من الناس تنعى حتى اليوم موت أرستطاليس وابن سينا ، فلم يتعكر لنا صفو . بل انه عندما توفى الملك القاهر داود ، وتوفى سليمان الحكيم، فقد حصدنا من الشكر مايزيد عن اللعنات . لقد مات كل من سبقهم من السلف ، وسيموت كل من جاء بعدهم من الخلف ، كما أنك وكل من يعيش اليوم أو مستقبلا، لابد وانكم بهم لاحقون ، وعلى دربهم سائرون . أما نحن ــ الموت ــ فنظل السيد السائد في الكون .

---

(١) حبيبان في مؤلفات اوفيد ، كما ورد ذكرهما عند شكسبير في مسرحية « حلم ليلة صيف » .

٣١ ـ أكرمان

كثيرا مايوقع الحديث صاحبه فى الشرك ، خصوصا اذا أدلى المتحدث الآن بأقوال تخالف أقواله بعد قليل ٠ سبق أن قلت انك شيء وفي نفس الوقت لاشيء (١) ، وانك لست روحـا ، ولكنك نهاية الحيـاة ، وان البشر جميعا تحت وصايتك ٠ أما الآن فأنت تقول : لابد وأن نفنى جميعا ، الا أنت أيهـا الموت ، فستبقى السـيد السائد ٠ هذان قولان متعارضان ، ولايمكن أن تثبت صحتهما فى آن واحد ٠ ان صـح أننا جميعا نفـارق الدنيا ، وان كان للحياة الدنيا لابد من نهاية ، وأنت تمثل ـ على حـد قولك ـ تلك النهـاية ، فانني ألفت النظر الى الملحوظة الآتية : اذا لم تكن هناك حياة ، فلن يوجد اطلاقا موت أو وفاة ، فالى آين تذهب اذن أيها السيد الموت ؟ أنت لاتستطيع أن تقيم فى الجنة ، فهى مكتوبة للأرواح الطاهرة الصالحة ، وأنت لست روحا ـ كمـا تقـول بنفسك ٠ فعنـدما تنتهى مهمتك على

(١) راجع الحديث رقم ١٥ ٠

الأرض ، ثم تفنى الأرض ، لابد اذن أن تشق طريقك مباشرة الى النار ، وبداخلها لابد وأن تتعذب بلا نهاية • وفى ذلك انتقام للأحياء والأموات منك • ان حديثك المتغير لايمكن أن يهتدى به أحد •

هل يعقل أن تكون كل الأشياء الدنيوية قد خلقت شريرة ، بائسة يائسة ، عاطلة باطلة ؟ ان الخالق الخالد ماكان ليسمح بذلك أبدا • فمنذ بدء الخليقة للآن يحب الله الفضيلة ، ويكره الشر والرذيلة ، ويغفر الخطايا أو يعاقب عليها • وأنا أعتقد أنه مازال يفعل ذلك دائما وأبدا • انني منذ صباى وأنا أستمع لما يقرأ ، ثم تعلمت أن الله هو خالق كل شيء في الدنيا ، وأنت تقول بأن الحياة والكينونة لابد وأن تفنى وتزول • بينما يقول أفلاطون (١) وغيره من الحكماء ان فناء شيء يشتمل على مولد شيء آخر ، وأن كل الأشياء قامت على أساس البعث من جديد ، وأن أحداث الأرض والسماء متجاوبة الأصداء ، وتؤثر احداها في الأخرى

(١) يستند المؤلف هنا الى أفلاطون باعتباره أعلى سلطة فكرية فى العصور الوسطى فى كتاباته عن الحياة والجمال والحب والسعادة •

باستمرار . لقد أردت بحديثك المزعزع المتقلب ـ الذى لايمكن أن يعتمد عليه أحد ـ أن تفزعنى لأتراجع عن شكواى . ولذلك أحتكم معك الى الله ، فهـو ملاذي ، أيها الموت المهلك المضلل ، فليصب الله عليك غضبه .

٣٢ ـ الموت

فى كثير من الأحيان لايستطيع الانسان أن يكف عن حديث بدأ فيه ، الا اذا قاطعه غيره · وتنطبق عليك هذه القاعدة · لقد سبق أن قلنا ، ومازلنا نقول حتى نصل بالحديث الى نهاية : ان سنة الحياة الدنيا بكل مافيها هى الفناء والزوال·· وفى وقتنا هذا تغيرت معايير الدنيا ، وانقلبت الأمور وأوضاعها : فصارت المؤخرة فى الأمام ، والمقدمة فى الوراء ، وانخفض الجبل ، وارتفع الوادى ، وأصبح الباطل حقا لدى أغلبية الشعب ، لقد رميت بالجنس البشرى كله الى نار جهنم الموقدة · أصبح من شبه المستحيل فى هذه الدنيا أن يعثر المرء على بصيص من النور يهتدى به ، أو يجد صديقا صدوقا دائم الاخلاص · أصبح الناس جميعا أكثر ميلا الى الشر منه الى الخير · فاذا عمل أحدهم اليوم عملا طيبا ، فانما يفعله خوفا منا · أصبح الناس جميعا مغرورين بأعمالهم · ان أجسادهم وزوجاتهم

وأطفالهم وأمجادهم وممتلكاتهم وكل ثرواتهم ـ هذه كلها الى زوال : ففي لحظة واحدة تفنى وتزول ، تذروها الرياح ، فلايبقى أثر في المظهر أو المخبر • ألا فلتلاحظ وتدرك ، وترى وتتحقق من نوايا أبناء آدم اليوم : فهم يعيثون في الأرض ، ينقبون فى الوادى والجبل ، في الخشب والصخر ، في الحقول والبرارى والغابات ، في قاع البحر وبطن الأرض ـ بحثا وراء متاع الدنيا • وهم يملأون جوف الأرض بالأنفاق والخنادق ويقطعون أوصال الأرض وعروقها ، باحثين عن التربة البراقة (الذهب) التى يحبونها لندرتها أكثر من أى شىء • وهم يقطعون الأخشاب ليقيموا منها الحوائط والمخازن والبيوت ، كما تفعل العصافير • وهم يزرعون الحدائق ويطعمون أشجارها ، ويفلحون الحقول ، ويغرسون الكروم ، ويبنون المطاحن ، ويرفعون العوائد والضرائب ، ويمارسون الصيد في البر والبحر والجو ، ويسوقون قطعان الماشية ، ويمتلكون كثيرا من الخدم والجوارى ، ويمتطون صهوات الجياد ، ويختزنون ويكنزون صناديق الذهب والفضة والأحجار الكريمة والثياب الفخمة ، ويحافظون على الشهوات والملذات

ويسعون وراءها ليلا ونهـارا (١) • فماذا يعنى كل ذلك ؟ كله غرور وخيلاء يصدر عن نفوس مريضة • كل شيء زائل زوال نهار أمس ، وهم يحصلون على ذلك كله عن طريق الحـرب والسرقة والنهب ، فكلما زادت الامتـلاكات ، دل ذلك على كثرة السرقات • ثم هـم يتركونها وراءهم لتسبب النزاع والعـراك والخلاف والشقاق • أواه ، ان بنى الانسان يعيشون دائما فى مخاوف وكدر ، فى أحزان وهموم ، فى خوف وفزع ، فى فترات ألم ، وأيام مـرض ، فى حـزن ونكد ، فى تعـاسة وشـقاء ، وكرب وبلاء ، وفى مختلف المكاره والشدائد • وكلما زادت عقـارات الانسان ، كثرت لديه الأحزان • يضاف الى ذلك أمر من أخطر الأمور ، وهو أن الانسان لايدرى متى وأين وكيف تنقض فجأة عليه وتزج به فى طريق الأموات • وهذا الهم لابد وأن يقع تحت طائله السيد والمسود ، الذكر والأنثى ، الغنى والفقير ، الطيب والشرير ، حـديث السن والطـاعن فيه ــ واآسفاه ، كم يجهل الأغبياء ذلك ، وبعد فوات الأوان ، يريدون جميعا الصلاح والايمان • وكل ذلك

---

(١) القرآن : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضه والخيل المسومة والأنعام والحرث • ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن الثواب » •

خيلاء فوق خيلاء ، وتحميل للنفس بالأعباء •

ولذلك فلتترك الشكوى ، وتنضم لأى طبقة تهوى (١) ، فسوف تجد فى كل منها العيب والغرور • ومع ذلك فعليك أن تربأ بنفسك عن المساوىء والشرور ، وتفعل الخير وتنشد الهدوء والسلام ، وتتمسك به على الدوام ، ولتحب نقاء الضمير وصفاءه أكثر من حبك لكل متاع الدنيا • لقد أخلصنا لك النصيحة ، والآن نقف معك بين يدى الله ، الخالد ، الكبير ، ذى القوة المتين •

---

(١) فى الحديث رقم ٢٧ كان الشاكى يسأل الموت ، هل يبقى دنيويا علمانيا أم يترهب وهذا هو الرد على السؤال •

٣٣ ـ صوت الحق

الربيع والصيف والخريف والشتاء ـ وهم قوام السنة ومحيوها الأربعة ـ اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا أمرهم . أخذ كل منهم يتباهى بحسن نواياه ، ويبرر حالات المطر والرياح والرعد والرذاذ ، وكل مظهر من مظاهر سوء الأحوال الجوية ، كما أراد كل منهم أن يبز الآخرين فيما يفعل .

فقال الربيع انه يبعث الحياة فى كل الثمار ، ويجعلها كثيرة وفيرة . وقال الصيف انه ينضج الثمار حتى يحين قطافها . وقال الخريف انه موسم الحصاد والتخزين ، ففيه تمتلىء الشون والمخازن والبيوت بالثمار . أما الشتاء فقال انه يلتهم الثمار ويستهلكها، ويطارد كل الديدان السامة .

أخذ الأربعة يتباهون بصنيعهم ويتنازعون أمرهم . لكنهم نسوا أنهم بذلك انما يفاخرون بقوتهم الشخصية، ويمتدحون سلطتهم الذاتية .

وهكذا تفعلان • اذ يبكى الشاكى فقيدته ، وكأنها كانت ملكا له ، ولم يخطر له على بال ، أنها كانت وديعة أودعناها لديه • أما الموت فهو يفخر بسلطته ويتباهى بسلطانه ، ذلك السلطان الذى لم يعره اياه ســوانا • ذاك يشكو من فقدان شيء لايملكه ،وهذا يتباهى بسلطة استمدها من غيره • ومع ذلك فليست أســباب النزاع واهية ، بل لهاوجاهتها : لقد أحسن كل منكما فيدفاعه عن وجهة نظره ، ذاك تدفعه آلامه الى الشكوى ، وهذا يضطره هجوم الشاكى الى قول الحقيقة •

لهذا نحكم لك بالشرف والكرامة آيها الشاكى ، ولك بالغلبة والنصر آيها الموت •• فقد كتب على كل انسان آن يدفع حياته للموت • ويعطى جسده للأرض، ويسلم روحه الينا •

٣٤ ـ صلاة «اكرمان» على روح زوجته

يارقيبا لاتغفل عيناه ، يارب الأرباب ، ياصانع المعجزات وصاحب السيادة فوق كل السادة ، ياروحا أقوى من كل الأرواح ، ياآمير كل الامارات ، أنتالبئر الفياض بكل خير ، أنت أقدس القديسين ، أنت المتوج والتاج ، أنت المجزى والجزاء ، أنت أمير الأمراء وصفوة النبلاء ، بقبضة يدك كل دواء : فهنيئا لمن ترضى عنه ويتشرف اليك بالانتماء • أنت بهجة الملائكة الأبرار ، وسعادة الأطهار ، ياخالق أعظم الصيغ والأشكال ، من كهول وأطفال : اللهم استجب لى •

يانورا غير مستمد من نور آخر ، أنت النور الذى تتضاءل آمام اشعاعاته كل الأضـواء الأخـرى ، أنت الضوء الذى تخفت أمامه كل الاضواء ، وتتلاشى لتصير ظلمة قاتمة ، أنت النور الذى يضيىء ظلال الأنوار ، أنت النـور الذى نطـق فى البـداية قائلا : «فلتنر الدنيا ••» • أنت اللهب الدائم الاشتعال ، أنت البداية والنهاية ، اللهم فاستجب لى •

ياخيرا فوق كل خير ، وسعادة لاتدانيها سعادة ، أنت الصراط المؤدى الى الحياة الأبدية دون متاهات ، أنت أفضل من الأفضل ، أنت الحيــاة لكل حى ، والحق الذى يعلو كل حقيقة ، والحكمة الفياضة على كل حكمة، أنت القادر على كل قدرة ، الرقيب على كل يد عادلة أو ظالمة ، الشــافى من كل عــاهة أو عيب ، أنت شــبع المحتاجين ، والبلسم الشافى للمرضى ، أنت خاتم الجلالة العليا ، أنت حافظ الانسجام فى الســماء ، والعارف الوحيد بأفكار العبيد ، أنت المصمم البــارع لمختلف الوجوه البشرية ، أنت أقوى من كل الكواكب ، وصاحب كل نفوذ على الأفلاك السائرة ، أنت أقوى وأمتع رئيس لديوان السموات ، أنت القانون الذى تثبت أمامه النظم الســماوية الخــالدة ، أنت الشمس الســاطعة ، اللهم فاستجب لى .

أنت المصباح الخالد ، والنور الأبدى ، وخير قبطان يوجه دفة السفينة ، ورافع الرايةالتى ينتصرمن استظل بظلها ، خلقت الجنــة والنار ، وبنيت الكرة الأرضية (رافع السموات والأرض) أنت مقيم السدود فى وجه تيار البحر ، وخالط الرياح المتغيرة ، ومقــوى لهيب النيران ، وخالق كل العناصر من رعــد وبرق وسحاب

ورذاذ وجليد ومطر وقوس قزح ،وندى وريح وصقيع، وأنت الموجه الوحيد لها جميعا ولفاعليتها ، أنت الدوق (المشير) القوى للجيش السماوى ، أنت القيصر المطاع، والخالق السمح القوى الرحيم ، رحماك بى اللهم واستجب لى •

أنت الكنز الذى تنبثق عنه جميع الكنوز ، والمنبع الذى تنساب منه الينابيع النقية الطاهرة ، أنت المرشد الذى لايضلل أحدا فى أى طريق ، أنت المغيث من كل ضائقة ، تجتذب اليك كل الأشياء الطيبة ، كما تجتذب الوردة النحلة ، أنت الأصل لكل الأشياء ، اللهم استجب لى •

أنت الطبيب الشافى من كل داء ووباء ، خبير الخبراء ، رب الأرض والسماء ، العليم بكل نهاية وكل طريق ، حارس المخلوقات من بطون أمهاتهم حتى أعماق قبورهم ، أنت المصمم لكل الصور والأشكال ، والأساس المتين لصالح الأعمال ، أنت المحب لكل طهارة وبراءة ، المبغض للنجاسة والدناءة ، المجزى على كل عمل صالح، أنت وحدك أعدل القضاة ، أنت الواحد الأحد ، المهيمن على كل شىء الى الأبد ، اللهم فاستجب دعائى •

أنت المعين فى كل الأزمات والمخاوف ، أنت رباط متين ، لايقوى على فكه أحد من العــالمين ، أنت الذات العلية الكاملة فوق كل كمال ، أنت العليم حقا ببواطن الأمور وظواهرها ، أنت الوهاب للســعادة الأبدية ، ومحطم المتع الدنيوية ، أنت أهل لكل الصالحين ورب بيتهم ، والصياد الذى لايخفى عليه أى أثر ، والمصب الدقيق لكل الحواس ، ومركز الدائرة فى كل قياس ، أنت الســميع المجيب لكل من نــاداك ، فاللهم استجب دعائى .

ياأقرب عــون للمحتاجين ، ومفــرج كرب من هم عليك معتمدون وفيك آملون ، أنت مشبع الجائعين ، أنت وحدك القادر على خلق الأشياء من العدم ، وتحويلها الى العدم ، أنت المحيى والمبقى والمميت لكل سبب ودوام وتوقيت ، لايستطيع أحد أن يفهم كينونتك وجوهرك أو يراك أو يرسمك ويحــدد معالمك . تقبل برحمتك روح زوجتى العزيزة .. اللهم امنحها الراحة الأبدية. وأنعشها بقطرات من ندى رحمتك ، وأظلها بظللك . امنحها يارب خير كفاية ، حيث تكفى صــغار النــاس وكبارهم ، أسكنها ياالهى فى عرشك ـ من حيث أتت ـ بين الأرواح الصالحة الخالدة .

ان قلبى يتألم لفراق مارجريتا زوجتى المختارة ٠ امنحها ، ياغنيا بالرحمة ، بقوة آلوهيتك الأبدية ، مرآة ترى فيها نفسها الى الأبد ، وتنظر فيها وتبتهج ، حيث تجد كل الملائكة الأطهار تشع منهم الأنوار ٠

فليساعدني كل من يستظل بظل الرحمن ، من انس وجان ، على آن أنطق من الأعماق بكل اخلاص وأقول : آمين ٠

خطاب اهداء (١)

رسالة الى بيتر روترز ـ مواطن من براغ ـ مع أحدث كتيب تم تأليفه وهو «أكرمان» .

الحب الصادق والأخوى من محب الى محب ، من مخلص الى مخلص ، من رفيق الى رفيق ، من مواطن بمدينة زاتس الى مواطن بمدينة براغ ، من يوحان فون تبل (زاتس) الى بيتر فون تبل .

ان الحب الذى ربط بيننا منذ صبانا ليدفعنى عند التفكير فيك الى التسرية عنك ، والتشرف باهدائك (كتابا) جديدا ، كنت قد عبرت مؤخرا للسيد م.ز (M. von Z.) عن رغبتك فيه . بحيث يكون شيئا من حقل الفن البلاغى المفيد ، الذى اقتطفت هنا بعض سنابله، بعد أن فاتنى سابقا وقت التحصيل والحصاد .

---

(١) اكتشف كونراد يوسف تايلج نص هذا الخطاب عام ١٩٢٣ فى مخطوطة بمدينة فرايبورج تحتوى على مجموعة من القطع الأدبية البليغة وضعها يوحان فون تبل أيام كان موثقا بمدينة زاتس . والخطاب يحتوى على تحليل المؤلف لانتاجه من ناحية المبنى والمعنى ولا يخلو من التواضع العلمى ، (قارن هان) .

وبعد ، فأقدم اليك هذا العمل الركيك القروى ، القائم على هراء المانى ، انتهى طرقه توا على السندان (١) • ومع ذلك فهو ـ نظرا لعظم الموضوع المطروح ـ يمثل هجوما على المصير المحتوم للموت ، ويستعرض الدرر الغوالى من كنوز الفن البلاغي ـ فهو يقتضب حيث يجب الاسهاب ، ويسهب حين ينبغى الاقتضاب ، ويتعرض للأشياء تارة بالمدح وتارة بالقدح ، بل قد يمدح شيئا ويقدحه فى آن واحد • أما تركيب الجملة وبناؤها فهو جذل مقتضب ، والتعبير سابح فى الأثير ، يحتمل أكثر من تفسير ، به لبس وغموض جنبا الى جنب مع التشابه فى المعنى • هنا تنساب الجمل بأجزائها ومفرداتها وتركيباتها لتصب فى أسلوب جديد ، وتتغير سرعة انسيابها ، فتتأنى فى موضع ، لتسرع الخطى فى موضع آخر • هنا كلام زاخر بالصور ، وحديث موجه اما للهجوم أو لتخفيف الهموم ، وسخرية باسمة ، ومحسنات بديعية تزين اللفظ والجملة وتسيطر معغيرها من العناصر البلاغية • وقد رصت كل مقومات الفن الخطابي والحشو البلاغى دون احكام ، بل وأحيانا دون اعراب ـ فى حدود

---

(١) يشبه المؤلف نفسه هنا بالحداد ، وعموما فهو يقصد التواضع العلمى بالجملة كلها •

امكانيات لغتنا ، وسوف يلحظ القارىء الفطن آثر ذلك وفاعليته • وآخيرا أقدم اليك ماسوف ينعشك من ثمار لاتينية ترعرعت في حقلى رغم قلة خصوبته •

تم تسليمه بعد وضع خاتمى عليه فى ليلة القديس بارتولوميوس عام ١٤٢٨ (١) •

(١) اتفق الباحثون على آن هذا التاريخ قد نقل خطأ عن الأصل ، وأن النص تم تاليفه عام ١٤٠١ •

BIBLIOGRAPHIE

Text-Ausgaben

— Bernt, Alois and Konrad Burdach (Hrsg.) : Der Ackermann aus Böhmen, Berlin 1917.

— **Krogmann, Willy (Hrsg.)** : Johannes von Tepl, Der Ackermann, Wiesbaden 1954.

— **Spalding, Keith** (Hrsg.) : Johannes von Tepl, Der Ackermann aus Böhmen, Oxford 1950.

— **Walsche, M.O'C.** (Hrsg). : Johannes von Tepl, Der Ackermann aus Böhmen, London 1951.

Literatur

— **Arbusow, Leonid** : Colores Rhetorici, Göttingen 1963.

— **Bach, Adolf**, Geschichte der deutschen Sprache, Heidelberg 1961.

— **Bäuml, Franz H.** : Rhetorical Devices and Structure in the Ackermann aus Böhmen, Berkley and Los Angeles 1960 (= University of California Publications in Modern Philology 60).

— Blascha, Anton : 550 Jahre Ackermann. in Wissenschaftl. Zs. d. Martin-Luther-Universität Halle-Wissenschaft-Gesellsch. u. sprachwissensch. Reihe 1, 1951/52.

— **Brand-Sommerfeld, Renée** : Zur Interpretation des Ackermann aus Böhmen, Basel 1944.

— **Burdach, Konard** : Der Dichter des Ackermann aus Böhmen und seine Zeit, Berlin 1926-1932.

— **Hahn, Gerhard** : Die Einheit des Ackermann aux Böhmen. Studien zur Komposition, München 1963.

— **ders.** : Johannes von Saaz, Der Ackermann aus Böhmen, Interpretation, München 1964.

(An diese Interpretation lehnt sich mein Vorwort zur arabischen Ausgabe an).

— **Hübner, Arthur** : Deutsches Mittelalter und italienische Renaissance im Ackermann aus Böhmen, in : Zs. f. Deutschkkunde 51, Berlin 1937.

— **ders.** : Das Deutsche im Ackermann aus Böhmen, in : Sitzungsbericht der Preussischen Academie der Wissenschaften, Berlin 1935.

— **Kuhn, Hugo** : Zwei mittelalterliche Dichtungen vom Tod : Memento mori und der Ackermann aus Böhmen, in : Deutschunterricht, H. 6 ,1953.

— **Lau sberg, Heinrich** : Elemente der literarischen Rhetorik, München 1963.

— **Schirokauer, Arno** : Frühneuhochdeutsch, in : Deutsche Philologie im Aufriss, hersg. von Wolfgang Stammler, 1. Bd., Berlin 1957.

— **Tschirich, Fritz** : Kapitelverzahnung und Kapitelrahmung durch das Wort im Ackermann aus Böhmen, in : Dt. Vier teljahrs'schrift für Literaturwissenschaft u. Geistesgeschichte 33, 1959.

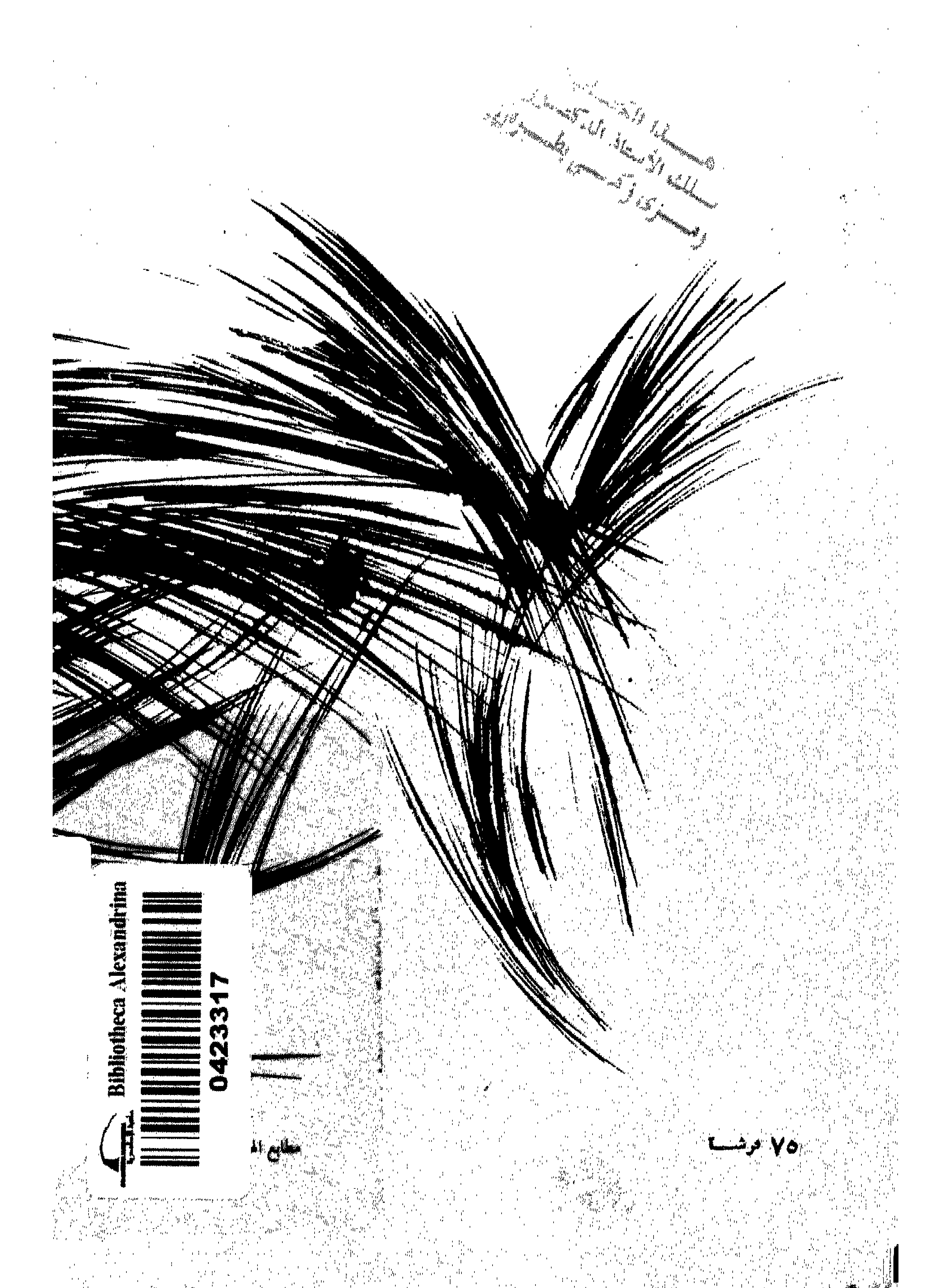
— **Weber, Joachim** : Kapitelaufbau und tektonischer Stil im Ackermann aus Böhmen, Göttingen, 1949.

— **Wolf, Ludwig** : Der Ackermann aus Böhmen, in : Wirkendes Wort 1, 1950/51.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٤/٢٦٩٠

ISBN ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ٠٣٢٧ ـ ٦



٧٥ قرشا